نابليون وإيران

تأليف

دكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي
الأستاذ بجامعة عين شمس - القاهرة

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٨٢٧٨٥١

نابليون وإيران

تأليف

دكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي
الأستاذ بجامعة عين شمس - القاهرة

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
١٨ شارع العباسية - القاهرة - ت ٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أدخلت الحملة الفرنسية التى قادها نابليون بونابرت على مصر منطقة الشرق الأوسط الممتدة من إيران شرقا حتى شمال أفريقيا غربا في حلبة الصراع الدولى وتنافس دول أوربا على اقتطاع أجزاء منها أو التهامها. وترك نابليون بصماته واضحة على كل بلد فيه، وكان أهمها على الإطلاق إيران ومصر.

حاول نابليون بونابرت تسديد ضربة قوية لانجلترا عدوته اللدود - وحرمانها من الهند التى كانت درة التاج البريطانى، فاتصل بشاه إيران القاجارى فى هذا الخصوص وعقد معه معاهدة تحالف. وكان الشاه بدوره يبحث عن حليف يشد أزره فى صراعه مع جيرانه الروس فى شمال بلاده، واعتبرت المعاهدة المبرمة بين فرنسا وإيران «أن روسيا هى العدو المشترك لكل من البلدين».

وهنا يجئ دور بريطانيا التى أصابها الهلع من التحالف الإيرانى الفرنسى الذى سينتج عنه امتداد النفوذ الفرنسى فى إيران المتاخمة للهند، فوقفت فى وجه التحالف ولم تمكن نابليون من تحقيق أهدافه.

ومن ناحية أخرى أكد الصراع الإيرانى الروسى أن القوات المسلحة الإيرانية لم تكن فى وضع يسمح لها بالصمود أمام قوة روسيا التى تستخدم أساليب قتالية حديثة وتملك أسلحة متطورة، وتحارب فرسانا لايملكون شيئا سوى الشجاعة والتهور. وأخيرا دخلت إيران - نتيجة ذلك - فى إمتحان صعب، حيث أصبحت أشبه بدولة مستعمرة ولمدة قرن وربع تقريبا هو عمر الدولة القاجارية (١٧٩٤ - ١٩٢٦م).

وسنرى من خلال عرضنا للأحداث أن نابليون بونابرت قد أدخل إيران فى

نطاق خططه الخطيرة، وأنه كان يتطلع إليها حتى بعد انسحابه من مصر وسورية، واتخاذها قاعدة لشن حملة عسكرية نابليونية على شبه القارة الهندية شبها بالإسكندر المقدونى. وأرجو أن أقدم كتيبا جديدا إلى المكتبة العربية لم يتطرق إلى موضوعه أحد من قبل. والله الموفق.

دكتور عبد السلام عبد العزيز فهمى



فتح علی شاه

فتح على شاه قاجار

١٢١٢ - ١٢٥٠ هجرية = ١٧٨٧ - ١٨٣٤ ميلادية

هو ثانى ملوك الأسرة القاجارية[١]، اسمه الأصلى «بابا خان» وتلقب بفتح على شاه بعد اعتلائه العرش القاجاري. وكان عمه «آغا محمد خان» مؤسس الأسرة يحب والده حسين قلى خان قاجار دون سائر أفراد عائلته وعشيرته التى كان يعاملها بالشدة والقسوة، وكان يميل إلى ابن أخيه «بابا خان» فاختاره وليا لعهده، ذلك أنه لم ينجب ولم يكن فى استطاعته الإنجاب حيث كان خصيا. «وكثيرا ماكان يردد «إن الدماء التى أسلتها من القاجاريين ليصفى الحكم لبابا خان ويكون سهلا»[٢].

وبعد أن استقر الأمر لآغا محمد خان، كان يسعى لتحقيق إحياء الإمبراطورية الصفوية التى كانت تضم كلا من خراسان والتركستان والقوقاز وأفغانستان وفارس وآذربيجان وكردستان وعربستان.

وبعد أن استتب له الأمر على أنقاض حكم الزنديين فى كافة البلاد الإيرانية عدا خراسان التى امتنعت عليه، فكر فى اعادة سيطرة إيران على

---

١) الأسرة القاجارية: عشيرة تركية الأصل شيعية المذهب تتكلم اللغة التركية، كانت تقطن فى مازندران وآذربيجان. أسهمت فى العصر الصفوى إسهاما كبيرا فى إرساء الحكم الصفوى لكثرة عددهم وقوة بأسهم، وقد تمكن زعماؤها من فرض سيطرتهم على آذربيجان أولا، ثم على كل إيران فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ثانيا.

٢) راجعنا فى ذلك الكتب التالية:

- لغت نامه دهخدا «دائرة المعارف الإيرانية»، العدد ٧٩ مادة «فتح على شاه».
- تاريخ إيران، تأليف حبيب الله شاملوئى، طهران سنة ١٣٤٧ هـ. ش.
- تاريخ مفصل إيران، تأليف عبد الله رازى، طهران سنة ١٣٣٥ هـ. ش.
- ناسخ التواريخ - المجلد الثالث (مجلد قاجاريه) تأليف محمد تقي لسان الملك سپهر تحقيق جهانگير قائمقامى، إيران، طهران سنة ١٣٣٧هـ. ش.

مناطق ماوراء القوقاز وكرجستان والتى كانت تابعة لإيران منذ العصر الصفوى. فكان أول شئ أقدم عليه فى هذا الشأن أن أرسل خطابا إلى ملك كرجستان «هرقل الثانى» في شهر أبريل سنة ١٧٩٥م يطالبه فيه أن يعترف بسيادة إيران على بلاده ودفع الجزية المقررة. وذكر له أن بلاد الكرج كانت خاضعة لإيران على مدى مئات السنين، كما تعرض للخلاف الدينى فقال «صحيح أننا لسنا على دين واحد، إلا أن علاقاتكم كانت دائما مع إيران»(٣). ثم ختم رسالته بأن ذكر له أنه يوجد في إيران كرج وأرمن وتاتار وشعوب أخرى كما أن بها مذاهب عديدة يلقى أصحابها كل رعاية وحماية، ويلزم أن تخجل من تصرفك. والآن بعد أن أصبحتُ فى منتهى القدرة والاقتدار أخطركم بقطع كافة علاقاتكم مع روسيا، وإلا سأقود جيشى إلى كرجستان وأريق دماء الروس ومن يناصرهم من الكرج، الذى سيكون مثل نهر جار»(٤). وكان جواب حاكم كرجستان(٥) مختصرا، أكد فيه أنه «لايعترف إلا بسيادة كاترين الثانية إمبراطورة روسيا»(٦).

وما أن فرغ آغا محمد خان قاجار من إرساء قواعد حكمه والقضاء على

---

٣) دكتور كمال مظهر أحمد؛ دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، سنة ١٩٨٥، ص ٢٤. نقلا عن مجلة: "Révue de Monde Musulman" التى نشرت رسالة آغا محمد خان بعددها الصادر فى يناير ١٩١٠م.

٤) دكتور على أكبرينا؛ تاريخ سياسى ودبلوماسى إيران، المجلد الأول، طهران، سنة ١٣٤٢هـ. ش.، ص ٣٩.

٥) تطلق على كرجستان أيضا اسم «بلاد الكرج» وجورجيا. وقد فضلت الاسم الإيرانى على الحديث «جورجيا»، وهو الذى كان شائعا فى الإستعمال طوال العصور الإسلامية. وكان ملوكها يدفعون الجزية للحكام المسلمين طوال تاريخها. ويلاحظ أن كلمة كرجستان تتكون من مقطعين هما «كرج + ستان» والأخيرة لاحقة مكانية فارسية، فتعنى الكلمة «بلاد الكرج» وعلى شاكلتها هندوستان وأفغانستان وتركستان وأرمنستان، أى بلاد الهند، الأفغان، الأتراك والأرمن.

٦) دكتور على أكبرينا؛ تاريخ سياسى ودبلوماسى إيران، مرجع سابق، ص ٤٠.

الثائرين من أبناء الأسرات التى كانت تحكم إيران قبل عصره رتب جيشا قوامه ستين ألف مقاتل، واتجه صوب كرجستان، وقسم الجيش إلى ثلاثة أقسام:

الأول: تحرك غربى شاطئ بحر قزوين واتجه ناحية صحراء مغان وشيروان وداغستان.

الثاني: وكانت وجهته الناحية الغربية صوب إيروان عاصمة أرمينيا عن طريق آذربيجان.

الثالث: وكان بقيادته ووجهته قراباغ وهدفه فتح قلعة «شوشى»

ونظرا لفيضان نهر أرس، فإن آغا محمد خان توقف أمام قلعة شوشى ضاربا حولها الحصار، وقاوم حاكمها «إبراهيم خليل خان جوانشير» الشاه القاجارى مقاومة شديدة. ولما لم يتمكن آغا محمد خان من فتح القلعة ترك أمامها جيشا قوامه عشرين ألف جندى وكلفه بالإجهاز عليها، وقاد بنفسه بقية الجيش (٤٠ ألف جندى)، وتوجه إلى تفليس عاصمة كرجستان، فخرج لقتاله هرقل الثانى لكنه هزم وفر إلى المناطق الجبلية المحيطة بتفليس. فدخل الشاه القاجارى المدينة وانتقم من ساكنيها بأن هدم مبانيها وخرب كنائسها، وقتل القسس من أبنائها، وأصدر أمرا بالقتل العام واستباح المدينة لأفراد جيشه، فهلك من سكانها قرابة عشرين ألف شخص وبيع مثلهم فى الأسواق. ثم عين آغا محمد خان من قبله حاكما علي مناطق تفليس وشيروان وإيروان ودربند، وعاد أدراجه إلى عاصمته طهران بسبب شدة الحرارة في القوقاز فى تلك السنة[٧].

ونورد فيما يلى ماذكره أحد المؤرخين السوفييت عن هذه الواقعة التاريخية

٧) حبيب الله شاملوني: تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ٧٥٨ ـ ٧٥٩.

من وجهة النظر الروسية: «وقام شاه إيران عام ١٧٩٥م بغارة لصوصية على جورجيا فحطم الجيش الجورجي وخرب مدينة تفليس واكتسح البلاد. وبيع عبيد أكثر من ٢٠ ألف شخص، وخيم خطر الإفناء على شعوب ماوراء القفقاز. ولذلك توجهت أنظار هذه الشعوب إلى روسيا القيصرية التي كانت تستطيع وحدها أن تقدم العون لها»(٨).

وصادف هذه الواقعة، حادثة أخرى كان من الطبيعي أن تعكر صفو العلاقات بين البلدين، ذلك أن آغا محمد خان كان قد سمح للروس فى بداية حكمه بإقامة وكالة تجارية لهم بالقرب من أستراباد الميناء المطل على بحر قزوين. ولكن الروس بدلا من إقامة وكالة تجارية شيدوا قلعة حصينة ونصبوا حولها ثمانية عشر مدفع. فارتاب الشاه القاجارى من ذلك وتوجس خيفة من الروس. فاحتال عليهم وانتهز فرصة إقامة وليمة عشاء لكبار الشخصيات الروسية والعاملين بالوكالة التجارية وأمر بالقبض عليهم بعد أن فرغوا من طعامهم وأفرغوا فى بطونهم كميات كبيرة من الشراب الذى لعب برؤوسهم، وقيدهم بالسلاسل، وهددهم بالقتل إن لم يهدموا القلعة فورا، فانصاعوا للأمر ورجعوا من حيث أتوا حاملين معهم تجارتهم وأسلحتهم(٩)

ولم يمض وقت طويل على حملة آغا محمد خان القاجارى على أرمنستان وكرجستان وطرد الروس من بلاده حتى تآمر عليه بعض أعوانه وخدمه فاغتالوه سنة ١٢١٢هـ (١٧٩٧م). وعادت إيران إلي ماكانت عليه من فوضي

---

٨) إيڤان ڤيدوسوف؛ تاريخ الإتحاد السوفيتي، ترجمة خيرى الضامن، نشر دار التقدم بموسكو بدون تاريخ، ص ٢٧٨.

٩)إبراهيم تيمورى؛ عصر بيخبرى ياتاريخ إمتيازات در إيران، نشر مكتبة إقبال، طهران سنة ١٣٣٢ هـ. ش.، ص ٢٥٠. والعنوان بالعربية (عصر الجهالة أو تاريخ الإمتيازات فى إيران).

واضطراب فى انتظار من سيفوز بالحكم من المتصارعين من البيت القاجارى.

كان «باباخان» القاجارى ابن أخ الشاه آغا محمد خان حاكما على مقاطعة فارس ومقر حكمه في شيراز. وما أن وصله خبر مقتل عمه حتى توجه بسرعة إلى العاصمة المركزية طهران واعتلى العرش خلفا لعمه وبناء على وصيته، واتخذ لنفسه لقب «فتح على شاه». لكن الأمور لم تسلم له بسهولة ويسر، بل واجه صعوبات جمة من قبل أعمامه وأبناء عمومته وأمراء آخرين من الأسرتين الأفشارية والزندية ورؤساء العشائر المحلية. وكان كل واحد منهم ينازع فتح على شاه العرش ويعتبر نفسه الوريث الشرعى أو صاحب الحق الطبيعي. فمكث الشاه القاجارى «فتح على شاه» خمس سنوات يحاربهم حتى انتصر عليهم جميعا فى سنة ١٢١٧هجرية. وما أن فرغ من إرساء قواعد حكمه والسيطرة على كافة الولايات الإيرانية حتى واجه مشكلة جديدة لم تكن فى حسبانه، تتمثل فى علاقاته بالدول الأجنبية، ونخص بالذكر روسيا القيصرية وإنجلترا وفرنسا النابليونية. وكان الصراع بين المتنافسين كبيرا والتنافس شديدا انتقل من الجبهة الأوربية إلي الشرق، وأصبحت ايران من مناطق صراعهم إلى أن وقعت ضحية جشع الغرب الاستعمارى، وتكالبوا عليها يحطمون كبرياءها ويقتطعون أجزاء منها ويقوضون تجارتها واقتصادها حتى تخلوا لهم وتركع تحت أقدامهم. واستمر ذلك الوضع السيئ طوال القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، أى طوال حكم الأسرة القاجارية على إيران.

واستمر الشاه القاجارى فتح على شاه يجاهد فى الدفاع عن الطغيان الروسى ولم يضن على هدفه بأى شئ حتى أنه كان على استعداد للتحالف مع أية قوى أجنبية لتساعده فى محنته وتشد من أزره مهما كان الثمن غاليا

والشروط مجحفة وقاسية، ولكن شاءت الإرادة الإلهية أن يهزم فتح على شاه في حربين خضعت إيران بعدها للروس، وشاهد الشاه القاجارى بعينى رأسه تغلغل النفوذ الروسى فى بلاده واقتطاع أجزاء منها قبل رحيله.

ومما عجل بوفاة فتح على شاه موت ابنه الأثير إلى قلبه وولى عهده وبطل إيران عباس ميرزا فى سنة ١٢٤٩ هجرية، فحزن عليه حزنا شديدا وملكه اليأس وحُرْقَةُ القلب على فقد ولده ونصيره حتى مات في العام التالى (١٢٥٠هـ = ١٨٣٤م) فى أصفهان.

لم يكن فتح على شاه جبارا مثل عمه آغا محمد خان، بل كان أقل منه قسوة. وكان ضيق الأفق لايستشير أحدا من رجاله حتي جاءت معظم قراراته تحت تأثير هواه؛ فكان بعضها متميزا بالخطأ والسرعة مما كانت له نتائج سيئة، وأثر على علاقاته بالدول الأجنبية التى تمكنت من جعله آخر الأمر عاجزا عن مواجهة المواقف. وعامل ملوك أوروبا دون أن يدرك معنى اللعبة السياسية العالمية فوقع فى أخطاء جسيمة كانت وبالا على إيران طوال العصر الحديث.

ثم إن فتح على شاه كان يعيش حياة بذخ ملك شرقى؛ يقضى أوقاته سواء الحلوة منها أو الصعبة فى الطرب والمجون. وقد ذكر المؤرخ سپهر فى كتابه الفارسى «ناسخ التواريخ» أسماء مائة وثمانية وخمسين من نسائه، وأن قصوره كانت تضم ألفين من الجوارى الحسان من مختلف الجنسيات. وذكر أيضا أن فتح على شاه رأى بعينيه طوال عمره ألفين من ذريته من أبنائه وحفدته، عد أسماء ستين ولدا وثمانية وأربعين بنتا(١٠).

وبلغ نفوذ رجال الشيعة فى عهد فتح على شاه مداه، وأصبح لهم دور بارز

(١٠) لغت نامه دهخدا (دائرة المعارف الإيرانية) العدد ٧٩، مرجع سابق، ص ٥٣.

ومؤثر فى سياسة إيران الداخلية والخارجية، وتوجيه الشاهات القاجاريين فيما بعد. وقد استغلهم فتح على شاه لصالحه فى تعبئة الناس ضد مخالفيه وضد الروس، الذين أصبحوا منذ عهده العدو الطبيعى لإيران، وأيضا في تهدئة الخواطر إثر كل هزيمة وضياع لحقوق إيران. ومع ذلك فإنهم اعترضوا فى سنة ١٢٤٠ هجرية على معاهدة «تركمان چاى» التى كبلت إيران تماما وأطلقت يد الروس بعد الحرب الإيرانية الروسية الثانية وكانوا في جانب استمرار الحرب واسترداد الأرض[١١].

وتميز بلاط فتح على شاه بأنه كان يضم شرذمة من الأمراء والوزراء وكبار رجال العشائر الإيرانية يتميزون بالأنانية والنفاق والمداهنة، حتى أن أكثر هزائم إيران فى حروبها ضد روسيا دفاعا عن كيانها كان نتيجة ذلك. ونستشف ذلك من بعض كتابات الرحالة الإيرانيين والأوروبيين أو الذين خدموا فى إيران أو السائحين الذين قصدوا طهران. يقول الجنرال «تريزل» ـ وكان ضابطا برتبة نقيب بالمدفعية الفرنسية وياورا للجنرال «جاردان» أول سفير فرنسى أرسله نابليون لدى البلاط الإيرانى فى عصر فتح على شاه: «إن العيب الوحيد لكبار رجال الدين هو الجشع مما يسبب الصعوبة فى التفاهم معهم. إن النقود هى معبودة قومية فى هذا البلد، وإن أفضل العروض تهمل إذا ماتعارضت مع منفعة فلان الوزير»[١٢].

ويقول أيضا الجنرال جاردان فى مذكراته: «إن الشعب الإيرانى يعبد جميعه المال بشراهة»[١٣].

---

١١) لغت نامه دهخدا، مرجع سابق، ص ٥٣.

١٢) كليد خليج فارس (مفتاح الخليج الفارسى)، تأليف الفريق مقتدر، طهران، سنة ١٣٣٣هـ. ش، ص ٧٥.

١٣) المرجع السابق، ص ٧٧.

وعلى أى حال كان فتح على شاه يتميز عن بقية سلاطين الأسرة القاجارية، خاصة مؤسسها آغا محمد خان، بالشهامة والرأفة، وإن وصف بالبخل والجشع، واشتهر فى أوروبا بأنه أطول صاحب لحية فى العالم حتى أنها كانت تصل إلى أسفل سرته وتغطى عورته. وكان يميل إلى الإصلاح وكثيرا ماكان يشجع وزير ابنه وولى عهده «ميرزا بزرگ قائم مقام الفراهانى» في خططه الإصلاحية. ثم إنه كان ملكا ذواقا للأدب محبا للأدباء والشعراء، وكان ينظم الشعر الفارسى أحيانا. ومن وزرائه المعروفين نذكر الصدر الأعظم ميرزا شفيع المازندرانى (ت ١٢٣٤هـ) والحاج محمد حسن خان الأصفهانى «نظام الدولة»، وابنه محمد حسين خان «أمين الدولة الوزير الأعظم». هذا علاوة على وزير ابنه عباس ميرزا ومستشاره «ميرزا بزرگ قائم مقام الفراهانى»(١٤).

١٤) عبد الله رازى؛ تاريخ مفصل إيران، مرجع سابق، ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

ملوك أوروبا والشرق الذين عاصرهم فتح على شاه:

حكم فتح على شاه ثمانية وثلاثين عام فى الفترة مابين ٢١ مارس ١٧٩٨ حتى ١٨٣٤م، وعاصر ملوكا عديدين فى أوروبا والشرق الإسلامى نذكرهم على النحو التالى:

١ ـ نابليون بونابرت	إمبراطور فرنسا
٢ ـ لويس الثامن عشر	» »
٣ ـ شارل العاشر	» »
٤ ـ لويس فيليب	» »
٥ ـ جورج الثالث	ملك إنجلترا
٦ ـ جورج الرابع	» »
٧ ـ وليم الثالث	» »
٨ ـ ألكساندر الأول	قيصر روسيا
٩ ـ نيقولا الأول	» »
١٠ ـ السلطان سليم الثالث	سلطان العثمانيين
١١ ـ السلطان محمود الثانى	» »
١٢ ـ محمد أكبر شاه الثانى	إمبراطور المغول فى الهند
١٣ـ محمد على باشا	والى مصر العثمانى

الوضع الدولى العام فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى

ومع مطلع القرن التاسع عشر الميلادى والذى كان قرين أوائل حكم فتح على شاه كانت أوروبا تموج بالأحداث؛ فكان على شاه إيران أن يتصل بكل من نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا وألكساندر الأول قيصر روسيا وجورج الثالث ملك إنجلترا. وكان لشركة الهند الشرقية الإنجليزية النفوذ الكامل على شبه القارة الهندية، مع وجود إمبراطور مغولى مسلم من نسل تيمورلنك يتربع على عرش دهلى، وبعد تنافس مرير مع غريمتها فرنسا التى خرجت من الهند مهزومة تماما. وكانت إنجلترا تسعى جاهدة للحفاظ على الهند من أى قوى خارجية تحاول دخول ميدان الاستعمار خاصة روسا وفرنسا، وهما المنافسان البارزان لها فى شبه القارة الهندية. ولهذا كانت إنجلترا فى حاجة إلى تعاون إيران معها لكونها خط الدفاع الأول عن شبه القارة الهندية من ناحية حدودها الشمالية الغربية، وأن من يخضعها لمشيئته أو يستولى عليها فإنه يقف على أبواب الهند ويدق أبوابها وتسهل عليه منافسة الإنجليز فيها وانتزاعها منهم، خاصة أن هناك قوى هندية محلية غير راضية على الإنجليز.

وكان نابليون بونابرت يعادى إنجلترا في كافة الميادين، ورأى أن مهاجمتها أمر غير ميسور لعدم وجود أسطول قوى يمكن فرنسا من التفوق فى بحر المانش واقتحام الجزر البريطانية نفسها. ففكر فى قطع أوصالها بأن يهاجمها فى الشرق ويحول بينها وبين مستعمراتها. فكان صراع نابليون شديدا، ويقظة إنجلترا أشد. وانتقل صراع القارة الأوروبية سواء السياسى والدبلوماسى أو الحربى إلى مناطق أخرى، ومنها منطة الشرق الأوسط. فكانت مصر أول بلد غزاه نابليون سنة ١٧٩٨م، فبدأت إنجلترا تنشط سياسيا فى

المنطقة خاصة فى إيران والخليج العربى. وما أن وصلت أنباء نزول الحملة الفرنسية فى مصر حتى أسرعت حكومة بومباى (البريطانية) إلى إرسال مبعوث إلى بلاط فتح على شاه فى أوائل سبتمبر ١٧٩٨م. وكان هذا المبعوث هو «مهدى على خان»، وهو إيرانى من خراسان، وكان متمتعا بثقة حاكم بومباى «جوناثان دنكان» (Jonathan Dancan) ، الذى كلفه بالعمل على إبعاد أى نفوذ فرنسى من بلاط إيران ومسقط، وكان نابليون بونابرت قد كاتب إمامها البوسعيدى، وكذلك الاتصال بأى شخصيات خليجية يمكن أن يصل إليها النفوذ الفرنسى فى الخليج العربى. كذلك كلفه «دنكان» بأن يجعل العلاقات الإيرانية الأفغانية فى خدمة المصالح البريطانية، وضد النفوذ الفرنسى المتجه إلى المنطقة[١٥].

وكانت خطة نابليون اقتطاع مصر من جسم الدولة العثمانية، واتخاذها مركزا لانطلاقه تجاه الشرق. وهنا أدركت إنجلترا أن فرنسا بدأت تشكل خطرا ليس على طريق الهند فحسب بل على الهند ذاتها، وعلى تجارتها فى الخليج العربى وجنوب شرقى آسيا[١٦].

وعلى هذا النحو توجهت أنظار الدول الكبرى نحو إيران أكثر من ذى قبل، خاصة بعد فشل حملة نابليون على مصر وتكشّف أهدافها، وشروعه في القيام بحملة جديدة تكون وجهتها الهند عن طريق إيران. وبدأ عمله بتحالفه مع پول الأول قيصر روسيا إثر خروجه من التحالف الثلاثى المكون من روسيا والنمسا وإنجلترا نتيجة استيلاء الأخيرة على جزيرة مالطة وتحكمها فى البحر الأبيض

١٥) دكتور عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية فى العصر الحديث - الجزء الأول، بيروت، سنة ١٩٧١م، ص ١٧٦.

١٦) دكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ الكويت - الجزء الأول - القسم الأول، الكويت سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ص ٣١٣.

المتوسط مما أثار حفيظة القيصر الروسى الذى رأى أن انجلترا تصيد فى الماء العكر أو تسخر الحلف لمصلحتها، فترك الحلف وانضم إلى فرنسا لإعجابه بشخصية نابليون فوقع معه معاهدة تحالف فى سنة ١٨٠٠م نصت بنودها على اشتراك قوات بلديهما فى الحملة الموجهة إلى الهند والتى رسم خطتها نابليون بنفسه على أن يقوم الجيش الروسى بغزو شمال الهند عن طريق آسيا الوسطى، وأن يتقدم الفرنسيون من البحر الأسود فالطريق البرى إلى نهر الفولجا. ومن هناك إلى بحر قزوين. ثم يتجه الفرنسيون من ميناء أستراباد إلى هراة فى أفغانستان والالتقاء بالقوات الروسية على الحدود الشمالية الغربية للهند. وبدأ العاهلان الروسى والفرنسى فى تنفيذ خطتهما، بدأها پول الأول بتنفيذ المرحلة الأولى من خطة الغزو بأن أصدر فى بداية عام ١٨٠١م أوامره إلى قوة من القوزاق قوامها ٢٢,٥ ألف فارس بالتحرك صوب الهند. كذلك أجرى الفرنسيون اتصالا مباشرا بشاه إيران «فتح على شاه» بشأن غزو الهند عبر الأراضى الإيرانية وإسهام إيران فى الحملة(١٧).

لم تهدأ إنجلترا من تحالف قيصر روسيا ونابليون إمبراطور فرنسا لشعورها بأن التحالف موجه ضدها بالدرجة الأولى، وبدأ جواسيسها ينشطون فى جلب المعلومات عن التحالف وأهدافه لمواجهة أى حادث طارئ. لكن الخطة الفرنسية الروسية المشتركة لغزو الهند أصيبت بالفشل بسبب اغتيال پول الأول قيصر روسيا فى قصره مساء ١١ مارس ١٨٠١م إثر انقلاب فى البلاط الروسى(١٨).

ومع ذلك لم تهدأ إنجلترا إزاء ذلك التحالف الموجه ضدها، وشرعت تتحرك

---

١٧) عبد الله الرازى: تاريخ مفصل إيران، مرجع سابق، ص ٤٦١ ـ ٤٦٢.

١٨) إيڤان ڤيدوسوف: تاريخ الإتحاد السوفييتى: مرجع سابق، ص ٢٧٥.

بسرعة لوأد الحلف الثنائى، وكشف الإنجليز محاولاتهم للتغلغل في إيران بهدف الحيلولة دون وقوعها فريسة سهلة فى أيدى أعدائها، أو الانضمام إليهم. فكلفت حكومة الهند الإنجليزية أحد رجالها، هو السيرجون مالكولم بالتوجه إلى إيران في أواخر سنة ١٨٠٠م فوصل ميناء بوشهر، ومنها قصد طهران حيث بلاط فتح على شاه، واستطاع استمالة الشاه القاجارى بما كان يحمله من هدايا ثمينة تقدرها المصادر الفارسية بمليونى روبية هندية، وكان من بينها ماسة كبيرة انبهر منها فتح على شاه عند رؤيته لها[١٩]. تلا ذلك إجراء مباحثات بين الجانبين الإنجليزى برئاسة السيرجون مالكولم والصدر الأعظم عن الجانب الإيرانى، صيغت فى معاهدة تحالف من خمس مواد:

المادة الأولى: أن يكون هناك اتحاد أبدى وتعاون بين البلدين يستمران مدى الحياة، وقطع خطط ودسائس الأعداء.

المادة الثانية: في حالة تصميم حاكم أفغانستان على الهجوم على الهند، تقوم القوات الإيرانية بغزو أراضى أفغانستان، وتحتفظ إيران بقواتها هناك لحين تخلى أفغانستان عن أطماعها فى الهند.

المادة الثالثة: فى حالة ميل حاكم أفغانستان إلى الصلح والسلام مع جيرانه، تشترط إيران على أفغانستان أنه فى حالة التفكير بالقيام بالهجوم على الهند، التى هى جزء من ممتلكات ملك إنجلترا، فإن محاولاتها ستواجه بالقمع حتى تخرج القوات الأفغانية من الهند.

---

١٩) سعيد نفيسى: تاريخ إجتماعى وسياسى إيران در دوره معاصر، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٩٣.

المادة الرابعة: تقدم إنجلترا لإيران السلاح والمدفعية والمهمات العسكرية الضرورية واللازمة لجيشها فى حالة تعرضها لهجوم من قبل شاه أفغانستان أو أحد الأشخاص الفرنسيين.

المادة الخامسة: فى حالة اتخاذ قوات فرنسية أحد موانى إيران مقرا لها بغرض الوقيعة بين الدولتين الإيرانية والإنجليزية، فإنه يتشكل جيش إيرانى إنجليزى مشترك لطرد المعتدين والتعاون لوضع حد لمحاولات فرنسا التغلغل فى المنطقة.

التوقع حاجى إبراهيم الصدر الأعظم كابتن مالكولم

يناير سنة ١٨٠١م[٢٠].

وتعد هذه المعاهدة بداية عهد جديد لتغلغل نفوذ الدول الكبرى فى إيران، انعكس على علاقات الدولتين المتعاقدتين، إيران وإنجلترا، بروسيا. ذلك أن القيصر الجديد ألكسندر الأول (١٨٠١- ١٨٢٥م) غيّر من سياسة سلفه پول الأول، واتجه إلى الشرق الآسيوى حيث كانت الأوضاع السياسية فى حالة ضعف كامل مما يسهل التهامها. ورنا ببصره صوب مناطق ماوراء القوقاز. فأصدر فى ١٢ أغسطس ١٨٠١م - ولم يمض على توليه العرش خمسة أشهر - بيانا حماسيا بضم كرجستان إلى روسيا. وشرع منذ ذلك التاريخ يحصن تلك البلاد. كذلك تقدم الأرمن بمذكرة فى أواخر سنة ١٨٠٢م إلى القيصر الروسى الجديد عن طريق قائد عام القوات الروسية فى كرجستان يطالبونه بحماية القيصر الروسى، ويناشدونه إرسال جيش «لإنقاذ الأرمن الذين يرزحون تحت نير

---

٢٠) دكتور أحمد تاج بخش؛ تاريخ روابط إيران وروسيه در نيمه أول قرن نوزدهم (تاريخ العلاقات الإيرانية الروسية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر)، تبريز سنة ١٣٣٧هـ.ش.، ص ١٩.

السيطرة الإيرانية. وأن الأرمن يهددهم خطر التهجير إلى المناطق الداخلية الإيرانية»[٢١].

ثم إن قيصر روسيا دخل مع حاكم أفغانستان فى حرب غير متكافئة، واحتلت القوات الروسية أفغانستان، وأغارت فى بعض الأحيان على بعض المناطق الهندية المتاخمة لأفغانستان. فتحركت إنجلترا بسرعة وتصدت لتلك الحملات الروسية بجهود سياسية. فكان نتيجة ذلك أن ترك القيصر الروسى ألكساندر الأول الميدان الأفغانى ووجه عنايته وطموحه وقواته صوب القوقاز وكرجستان، وهما من ولايات إيران الشمالية[٢٢].

وإذا نظرنا إلى واقع إقليم (أرمنستان) نجد أن اضطراب الأحوال فى إيران شغلتها عن إحكام سيطرتها على هذا الإقليم الإيرانى الشمالى. كذلك لم يكن هناك عاطفة مشتركة تربط أرمينيا والأرمن بالشعوب الإيرانية؛ فالأولى مسيحية، والإيرانيون مسلمون شيعة متعصبون. فكان ذلك من أسباب اتساع هوّة الخلاف بين البلدين حتى أنه لم يبق لإيران سوى ادعاء بالسيادة على أرمينيا ليس أكثر، وتحول حكامها من التبعية لإيران إلى أشبه مايكون بحكام مستقلين عن طهران؛ ففى مطلع القرن التاسع عشر كان خان يريڤان حاضرة أرمنستان لايدفع الموارد للشاه القاجارى ولم يساهم فى الأحداث الإيرانية من الاعتراف بالأسرة القاجارية أولا و بالشاه فتح على شاه ثانيا واستمروا يطلقون عليه اسمه القديم «بابا خان»، واتجه خان يريڤان إلى موسكو ووطد علاقاته ببلاط القيصر الروسى. ومع ذلك كان خان أرمنستان لايرفض طلب شاه إيران

٢١) دكتور كمال مظهر أحمد؛ دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق ص ٣١، نقلا عن «وثائق وزارة الخارجية الروسية »المجلد الأول، ص ٢٤ ـ ٢٦ الوثيقة رقم ٧، ص ٧٢ ـ ٧٣ الوثيقة رقم ٢١٧.

٢٢) حبيب الله شاملوئى؛ تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ٧٥٩.

إرسال جنود من الولايات الإيرانية، فكان يقدم له فى حالة الحرب بعض القوات الرمزية. وأخيرا فاوض هو وحاكم قره باغ الروس فى الانضمام إلى روسيا والعمل تحت راية القيصر.

لم يكن أمام فتح على شاه إلا أن أعد العدة لشن حملة على أرمنستان وكرجستان. كذلك استعد كل من خان أرمنستان وملك كرجستان لمواجهة التحدى الإيرانى، ونشط جواسيس الروس فى منطقة النزاع. وفى شهر مارس سنة ١٨٠٢م أبلغ القائد العام للقوات الروسية فى كرجستان القيصر ألكساندر الأول شخصيا عن استعدادات إيران للهجوم على يريڤان ضمن خطة شاملة تستهدف أرمنستان وكرجستان، وأنه أعد جيشا قوامه أربعين ألف رجل لتنفيذ خطته. فما كان من القيصر الروسى إلا أن أصدر توجيهاته إلى قائد قواته فى كرجستان باتخاذ الإجراءات الضرورية للحيلولة دون احتلال الإيرانيين لمدينة يريڤان، حاضرة أرمنستان، ومنعهم من دخول كرجستان. وأيضا أطلق يده فى التصرف طبقا للواقع والظروف.

وعلى هذا النحو صارت مناطق إيران الشمالية فى حالة غليان كامل. وكان لابد من نشوب القتال بين الدولتين؛ روسيا وإيران. ولم تكن الأخيرة مهيأة عسكريا لخوض غمار حرب مع دولة أوروبية كبرى مثل روسيا، وإن كان لاينقصها قوة العزم والإرادة والتهور بقدر حاجة جيشها للتدريب والإعداد. ويقول سعيد نفيسى إن جانبا من الجيش الإيرانى كان يتألف من «الخبازين والخياطين والسروجية وباعة الفاكهة»[٢٣] وبذل ولى العهد والقائد العام للجيش

٢٣) سعيد نفيسى؛ تاريخ سياسى واجتماعى إيران در دوره معاصر، مرجع سابق، ص ٢١١.

الإيرانى عباس ميرزا[٢٤]. جهودا كبيرة فى إعداد الجيش والاتصال بشخصيات أوروبية أملا في نيل المساعدة والعون، وكان منهم «مترنيخ» رئيس وزراء النمسا.

وكان أول صدام عسكرى بين الجيش الإيرانى والقوات الروسية قرب «أجمادزين» حيث تقع الكاتدرائية الأرمنية، وهزم الجيش الإيرانى الذى قاده عباس ميرزا، رغم تفوقه فى العدد على الجيش الروسى الذى قاده «سيسيانوف». وأوقفت روسيا الحرب ضد إيران بعد أن حققت ما أرادت، وهو إبعاد إيران عن أرمنستان وكرجستان. وكذلك من الأسباب الأخرى التي جعلت الروس يوقفون الحرب في الجبهة الإيرانية هو غليان الجبهة الأوربية وتطور الأحداث بخطى سريعة، فكان على روسيا أن تنقل جزءا كبيرا من جيشها إلى الميدان الأوروبى.

بدأ فتح على شاه يعيد حساباته على ضوء هزيمة جيوشه في «أجمادزين»؛ فأدرك أن الجيش الإيرانى غير قادر على الوقوف فى وجه الجيش الروسى، وكان ميزان القوتين عدداً وتسليحًا يشير إلى ذلك، مما جعل القوات الإيرانية بتشكيلها وتسليحها لاتصمد أمام القوات الروسية ذات التسليح الحديث والتدريب الجيد. فكان على فتح على شاه أن ينشئ جيشا نظاميا تميّز بالكفاءة القتالية والتنظيم العسكرى السليم، وليس على أسس قبلية أو عشائرية، حيث

٢٤) عباس ميرزا (١٧٨٨ - ١٨٣٣م) الابن الثالث لفتح على شاه، اختاره وليا للعهد من بين العشرات من أبنائه بسبب مقدرته ونبوغه وشهامته. وهو من الشخصيات الفريدة التي نالت إعجاب الشعوب الإيرانية. كما ترك انطباعا طيبا لدى الرحالة الأجانب، واعتبره المؤرخون الغربيون «أعظم أمير قاجارى»، وساهم فى قيادة الجيش الإيرانى فى الجبهات الشمالية والشرقية حتى سقط صريعا من الإجهاد سنة ١٨٣٣، فحزن عليه والده كثيرا حتى قضى عليه الحزن فى العام التالى. (عبد الله الرازى: تاريخ مفصل إيران، ص ٤٧٣).



عباس ميرزا - ولي العهد

كان رؤساء العشائر والقبائل والطوائف يقدمون أثناء الحرب أعدادا من أبناء عشائرهم وقبائلهم وطوائفم يسوقونهم سوقا إلى ميادين القتال، ولاهم لهم سوى النهب والسلب وتقسيم الغنائم. فوجه شاه إيران عنايته واهتمامه إلى الجيش وفكر فى اتخاذ إحدى الدولتين الكبيرتين فى عهده، انجلترا وفرنسا، حليفا له ينسق معها خططه السياسية والعسكرية.

لقد أصاب الذعر فتح على شاه - نتيجة انكسار جيشه - من غريمه ألكساندر الأول قيصر روسيا وأحبطت همته، وجبن أمام الهزيمة، وشك فى قدراته وإمكانات شعبه وبلده، واستولى عليه الحزن والهم مما جعله يتصرف بطريقة فردية شاذة، حيث تميزت أوامره بقصر النظر خاصة فى سياستيه الداخلية والخارجية حتى آلت الأمور إلى الانحدار والسوء. كان الشاه القاجارى لايستشير أحدا من رجاله فى أعماله وإدارته لشئون الدولة. ومما زاد الطين بلة أنه لم يكن مطلعا على شئون العالم، وعلى سياسات الدول. وكان يعتبر نفسه ندا لمعاصره نابليون بونابرت وقرينا له فى اللقب والشهرة، ولا يقل شأنا عنه، حتى أنه كان يتعامل فى علاقاته الخارجية على هذا الأساس. يقول سعيد نفيسى فى هذا الشأن مانصه: «كان فتح على شاه يتعامل دائما مع الدول الكبرى، إنجلترا وروسيا وفرنسا والدولة العثمانية فى سياسته الخارجية بنفس الغرور الذى يعامل به أحد حكام الولايات الايرانية؛ إذ لم يكن يتصور مطلقا أنه بوسع أى من هذه الدول أن تتحداه، أو أن يكون هو نفسه قد ارتكب خطأ أو عملا غير مناسب»[٢٥].

كانت فرنسا أسبق من غيرها لاستغلال الحرب الناشبة بين إيران وروسيا بهدف تثبيت موقع قدم لها فى إيران، خاصة أن الفرنسيين وجدوا ميلا لدى فتح

٢٥) سعيد نفيسى: تاريخ سياسى راجتماعى إيران در دوره معاصر، مرجع سابق، ص ٨٠.

على شاه نحوهم بعد فشله فى الحصول على مساعدة الإنجليز عندما طلب الشاه القاجارى تنفيذ معاهدة سنة ١٨٠١م، والتى تعهدت إنجلترا فيها بمساعدته فى صد أى اعتداء خارجى على بلاده. وأن الاعتداء قد وقع فعلا من جانب روسيا، لكن الإنجليز تقاعسوا عن مساعدته وقت حدوث الاعتداء الروسى ولم يتحركوا لنجدته. لذلك رغب فتح على شاه فى التخلى عن تحالف الإنجليز والالتفات إلى فرنسا لتأمين سلامته[٢٦].

وعلى هذا النحو اتجه فتح على شاه نحو فرنسا، وبدأ فى إرساء علاقات صداقة مع نابليون بونابرت، وفعل نفس الشئ ميرزا شفيع المازندرانى الصدر الأعظم الإيرانى مع «تاليران» (Talléyrand) وزير خارجية فرنسا. وقد بدأت المرحلة الأولى من العلاقات الفرنسية الإيرانية فى سنة ١٢١٩ هجرية (١٨٠٤م)، بعد أن أعطى البطريرك الأرمنى «داوود» فى «أوچ كليسا»[٢٧] معلومات عن نابليون بونابرت إلى الشاه القاجارى، وأسهب فى ذكر بطولاته وانتصاراته وعظمة جيوشه التى لاتقهر، وأنه يعادى الروس. فسارع فتح على شاه بكتابة رسالة إلى نابليون يعرض فيها عقد اتحاد بين إيران وفرنسا. وقد ترجم هذه الرسالة المدونة باللغة الفارسية إلى اللغة الفرنسية سفير فرنسا فى استانبول وسلمها إلى نابليون آخر الأمر[٢٨].

وكان نابليون بونابرت على معرفة سطحية بموقع إيران الجغرافى والسياسى والعسكرى، وكل ماوصله من معلومات كان عن طريق بعض الموظفين الفرنسيين أمثال «أوليڤييه» (Olivier) و «برونيير» (Brugniere) و «روفن» (Ruffin)

٢٦) دكتور علي أكبرينا؛ تاريخ سياسى ودبلوماسى إيران، مرجع سابق، ص ١٠٤. وجورج لنشوفسكى؛ الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، مرجع سابق، ص ٥٢.

٢٧) أوچ كليسا: مكان قرب إيروان بجوار نهر أرس به البطريكخانه الأرمنية.

٢٨) حبيب الله شاملوئي؛ تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ٧٦٠.

الذى له الفضل كل الفضل فى جذب اهتمامات نابليون نحو إيران، حتى أن الامبراطور الفرنسى كلفه بالقيام بجولة تفتيشية على القنصليات الفرنسية فى الشرق. كذلك كان نابليون يراسل التاجر «إسكالون» (Escalon) المقيم فى استانبول.

وبعد أن رسم نابليون صورة عن إيران فى مخيلته كلف مترجمه الخاص وكاتب بلاط «آمدى چوبير» (Amedé Jaubert) بكتابة رسائل إلى كل من فتح على شاه القاجارى شاه إيران، وسليم خان الثالث السلطان العثمانى، وأطلعهما على دراسات مفصلة عن كيفية تعاون سياسى إيرانى وعثمانى مع فرنسا ضد إنجلترا. ولما كانت الأوضاع الداخلية فى الدولة العثمانية مضطربة فإن چوبير لم يسلك طريق استانبول، إلا أنه وصل إلي إيران وسلم الشاه رسالة نابليون[٢٩].

ولم يكتف نابليون بونابرت بالرسالة التى حملها «چوبير» إلى فتح على شاه، بل إنه كلف ياوره الخاص «روميو» (Romieu) بالتوجه إلى إيران رأسا بهدف قيام حلف ثلاثى بين فرنسا وإيران والدولة العثمانية ضد روسيا ومواجهة طموحاتها فى الشرق[٣٠]. ولكن فات نابليون أن هناك خلافات جوهرية وعداء موروثا بين الإيرانيين والعثمانيين؛ فإيران شيعة اثنا عشرية متعصبة والدولة العثمانية سنية، ووصلت حالة العداء بين البلدين المسلمين إلى طريق مسدود. ثم إن استراتيجية الدولة العثمانية تخشى من أى تعاون إيرانى مع الدول الأوروبية، لأن ذلك سيكون تهديدا مباشرا للسلطان العثمانى والدولة العثمانية.

٢٩) حبيب الله شاملوئى، تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ٧٦٠.
٣٠) المرجع السابق، ص ٧٦٣.

نظرة نابليون بونابرت إلى ايران، واتصاله بفتح على شاه

بدأت فرنسا تهتم بإيران ومايجرى بها من أحداث منذ عهد مؤسس الدولة القاجارية آغا محمد خان، حيث توجهت بعثة فرنسية من استانبول إلى طهران لإنشاء علاقات سياسية وتجارية.

وفى عهد فتح على شاه قدم طهران فى سنة ١٨٠١م (١٢١٥هـ) تاجر أرمنى يحمل رسائل رسمية من قبل الحكومة الفرنسية تشير إلى رغبة نابليون الأكيدة في توطيد علاقات فرنسا مع إيران، وتمكن ذلك التاجر الأرمنى من الوصول إلى طهران بمساعدة القنصل الفرنسى في بغداد «روسو» (Rousseau). ونظرا لعدم وجود شخص فى إيران يستطيع قراءة الرسائل الفرنسية، فتفاهم «روسو» مع المسئولين الإيرانيين على إرسال ممثلين فرنسيين إلى إيران لإجراء مباحثات بين الطرفين. وفعلا توجه إلى إيران بعض الموظفين الرسميين لمدد قصيرة لجمع معلومات عن إيران. وبعد عرض التقارير الفرنسية التى بعثها المبعوثون الفرنسيون فى إيران، قرر نابليون إرسال خبيرين لعمل مسح جغرافى شامل ودراسة لأحوال البلاط القاجارى والشعب الإيرانى والجيش ووسائل استخدام إيران منطقة تجمع عسكرية وإمكانية التسهيلات الممكنة التى تقدمها إيران إلى جيش فرنسى متجه إلى الهند عن طريق أراضيها، حيث اقتنع نابليون تماما بأن إيران ذات موقع استراتيجى هام ومؤثر جدا لمجاورته الهند، علاوة على أنها معبر برى إلى شبه القارة الهندية ويمكن الاستفادة منها فى توجيه ضربة قاصمة لإنجلترا فى إحدى أهم مستعمراتها[٣١].

لقد شغل موضوع إيران فكر نابليون، واقتنع تماما بوجوب إنشاء روابط

---

(٣١) دكتور على أكبربينا؛ تاريخ سياسى ودپلوماسى إيران، مرجع سابق، ص ١٠٦.

وطيدة مع ملكها لينفذ غرضه الكبير وهو «ضرب المصالح الإنجليزية في الشرق». وعندما سافر أحد رجاله المقربين، وهو المارشال «برون» (Brune)، إلى استانبول فى سنة ١٨٠٢م كلفه بإجراء حوار مع الحكومة الإيرانية وإنشاء علاقات دبلوماسية وتجارية وعسكرية بين فرنسا وإيران.

فى سنة ١٨٠٣م (١٢١٨هـ) كلف شارل موريس تاليران (Talléyrand) وزير خارجية فرنسا القنصل الفرنسى فى بغداد «جان فرانسوا روسو» (Jean Francois Rousseau) أن يشرع فى الإتصال بالحكومة الإيرانية وجمع التقارير عن إيران وإرسالها إليه أولا بأول. وقد نجح روسو فى المهمة التى كلف بها، وأوجد جوا مناسبا لإنشاء علاقات فرنسية إيرانية.

وفى تلك الفترة لم تهتم انجلترا بالغزو الروسى للأراضى الإيرانية أو ضم كرجستان إليها، ولم تقدم لإيران المساعدات المنصوص عليها فى اتفاقية سنة ١٨٠٠م مما أقلق الشاه فتح على شاه وبدأ يفكر فى فرنسا ويهمل إنجلترا لعلها تقدم له العون والتأييد، أو تحاول تهدئة الموقف وانسحاب الروس من الأراضى الإيرانية المحتلة، خاصة وأن نابليون وشهرته العسكرية والسياسية قد وصلت إلى أسماع الشاه القاجارى وأغرم ببطولاته العسكرية حتى جعلته يظن أنه الشخص الوحيد الذى سيقف بجانبه.

ومع ذلك لم يفقد فتح على شاه الأمل كاملا فى معونة إنجلترا؛ فطلب منها رسميا مساعدته وتعضيده ماديا وعسكريا فى الحرب الدائرة بين إيران وروسيا؛ فكان رد الإنجليز على ذلك أن اشترطوا على إيران تسليمهم بعض موانى بحر الخزر (قزوين) فى الشمال، وجزيرة هرمز على مدخل الخليج العربى، وميناء بوشهر في الجنوب؛ فكان ذلك الرد قاسيا على فتح على شاه،

فقرر اهمال إنجلترا واتجه إلى فرنسا.

وكان الإنجليز يراقبون نشاط الفرنسيين فى الشرق لدرجة أن القنصل العام الإنجليزى «السير هارفارد جونز «كان على علم بأقل تحرك فرنسى. وكان يعمل جاهدا ليحول دون وصول «چوبير» و«روميو» إلي طهران[٣٢]. ومع ذلك استمرت الجهود الفرنسية، وبدأ صراع خفى بين فرنسا وإنجلترا فى إيران مع تفاقم الحروب النابليونية وتقدم الروس فى ميادين القتال لدرجة بدأت إيران معها تشغل حيزا فى الأحداث العالمية.

وحتى ذلك الحين الذى كان فيه فتح على شاه يفكر فى المعونة الفرنسية ويمنى نفسه بالمساعدة النابليونية، كانت القوات الإيرانية تلقي الهزائم على كافة جبهات القتال؛ ففى شهر يونيو ١٨٠٦م اقتحم الروس السواحل الجنوبية الغربية لبحر قزوين واستولوا عليها. وفى الثالث من يوليو ١٨٠٦م احتل الروس مدينة «دربند» وتقدمت صوب آذربيجان عن طريق داغستان، فسقطت مدنها الواحدة تلو الأخرى، واتجه الروس شرقا واستولوا على باكو وموغان فى العاشر من أكتوبر ١٨٠٦م. وبذلك حقق الروس نصرا عسكريا وأحرزوا مواقع استراتيجية هامة وضمنوا حماية كرجستان وإبعادالخطر الايرانى.

ولم يكن أمام فتح على شاه إزاء انتصار القوات الروسية واحتلالها المدن الايرانية الواحدة تلو الأخرى وعجز قواته تماما عن القيام بهجوم مضاد، أو حتى الدفاع إثر سقوط باكو إلا تكليف حاكم جيلان بالاتصال بالقيادة الروسية لعقد صلح بين الطرفين. وفعلا وصل «استراباد» مقر قيادة القوات الروسية ممثل إيرانى فى شهر أغسطس ١٨٠٦م يحمل رسالة من حاكم جيلان يقترح فيها

٣٢) دكتور على أكبربينا؛ تاريخ ديلوماسى وسياسى إيران، مرجع سابق، ص ١١٠.

وضع نهاية للحرب الدائرة بين البلدين. واستقبل الجنرال «جودڤيتش» القائد العام الروسى الممثل الإيرانى، ودارت المباحثات بين الجانبين استغرقت قرابة شهر تقريبا، وانتهت بتسليم القائد الروسى رسالة للمندوب الإيرانى ضمنها شروط روسيا لعقد الصلح. وتنص على أن تعترف إيران بنهرى أرس وجورا حدودا فاصلة بين الدولتين، وتسليم روسيا مقاطعتى يريڤان ونخجوان.

وجد عباس ميرزا ولى العهد والقائد العام للجيش الإيرانى أن شروط الجنرال جودوڤيتش قاسية وغير محتملة، وفى نفس الوقت وجد نفسه عاجزا على الإستمرار فى محاربة الروس، ومع ذلك اعتذر عن قبول شروط روسيا للصلح بين البلدين، لكنه لم يلوح بالحرب كما كان فى السابق. ووجد القيصر الروسى ألكساندر الأول أنه حقق هدفه من الحرب التى شنها على إيران، فطلب من قائده على الجبهة الإيرانية استمرار الحوار مع الإيرانيين وعدم قطع الصلة بهم كلية، وسلمه شروطا جديدة اشتملت على النقاط التالية:

١ - وقف إطلاق النار من جانب الطرفين دون تأخير.

٢ - بقاء قوات الدولتين فى مواقعها.

٣ - حل المشاكل المعلقة حول الحدود عن طريق التفاوض.

٤ - يبعث الجانب الإيرانى عند الموافقة على هذه الشروط ممثلا عنه إلى بطرسبرج لعقد معاهدة الصلح(٣٣).

وأيضا كلفه بأن يشترط على الجانب الإيرانى عدم إثارة موضوع استرداد الأرض التى استولت عليها روسيا بطريق الحرب.

٣٣) دكتور كمال مظهر أحمد: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٣٦ - ٣٧.

وكانت الاتصالات مستمرة بين إيران وفرنسا، ووجد فتح على شاه الفرصة مهيأة أمامه لخوض مزيد من المغامرات الخيالية التى كانت لاتتعدى خياله ليس أكثر؛ ذلك أن «روميو» كان قد وصل إلى إيران قبل زميله «چوبير» فى شهر أكتوبر ١٨٠٥م (رجب ١٢٢٠هـ) وقابل الشاه القاجارى الذى احتفى به وأنزله فى ضيافته، كما أنزل بقية أعضاء وفده فى دور أعيان العاصمة وكان الشاه فتح على شاه يظن أن روميو لديه التفويض التام من جانب إمبراطور فرنسا لعقد معاهدة وتقديم معونات عسكرية لإيران، لكن روميو لم يعش طويلا، فلم يمض عليه سوى بضعة أيام حتى مرض وتوفى. فكان ذلك صدمة قوية لفتح على شاه، ولم يخفف من وقعها سوى قدوم «آمدى چوبير» مبعوث نابليون الذى تأخر فى الوصول إلى طهران نظرا للصعوبات التى اعترضته فى مسيرته فى أراضى الدولة العثمانية؛ حيث كانت قافلته تثير الانتباه والتساؤل من قبل حكام النواحى والمناطق المختلفة التى مربها، وكان من بينهم حاكم مدينة بايزيد الذى اشتبه فيه وقبض عليه وأودعه السجن، ولم يفرج عنه إلا بعد توسط عباس ميرزا ولى عهد إيران عندما بلغه الخبر. وأخيرا وصل چوبير إلى مدينة «سلطانية» في شهر ربيع الثانى ١٢٢١ هجرية. وفى هذه المدينة حظى بلقاء الشاه القاجارى وسلمه الرسالة التى كتبها نابليون بونابرت. وكانت الرسالة طويلة أفرغ فيها نابليون كل إعجابه بالشرق بعامة وإيران بخاصة، ولوح بإمكانية التعاون بين البلدين، إيران وفرنسا، لصالح البشرية. فكان مما ذكره فى الرسالة النقاط التالية:

١ - ليعلم شاه إيران أن لديّ مراسلين فى كافة البلاد، مدربين على جمع المعلومات ومعرفة المسائل الهامة لكل دولة، وعن هذا الطريق أعلم جيدا

فى أى موقع أقدم مساعداتى للسلاطين والشعوب الصديقة.

٢ - إن إيران بلد ذو تاريخ مجيد وشعبها ذو حضارة عريقة، يتميز بالذكاء والجرأة ويختص بموقع فريد، ولديه موارد طبيعية غنية.

٣ - كان نادر إمبراطور إيران مقاتلا من الدرجة الأولى لذلك استولى على دول كثيرة، وأرهب كافة جيرانه، وانتصر على أعدائه. ويمثل حكمه صفحة ناصعة البياض وفخرا لإيران. لكنه لم يتمعن فى عواقب الأمور. ولهذا السبب اندثر المجد الذى كان يطمع فيه بعد موته.

٤ - لعلك تستفيد من نصائح وعظات الأمة الهندية الغارقة فى الذل والمهانة مع وجود تجارة رائجة وحيوية لدى الشعب وتاج على رأس ملكها.

٥ - تحتاج دول العالم لبعضها البعض؛ إن رجال الشرق يتميزون بالذكاء والجسارة لكن ليس لديهم معرفة عن الصناعات والأنظمة الحديثة، لذلك تجدهم يهزمون أمام شعوب الشمال والغرب.

٦ - يجب أن نتعاون معا على أن نجعل شعبينا أقوى وأغنى وأسعد شعوب العالم أجمع[٣٤].

لقد أحيت هذه الرسالة أمل الشاه القاجارى، ووجد فى نابليون بونابرت خير معين له فى محنته، وتجدد لديه الأمل؛ فعندما انتقل إلى طهران أمر أن يرافقه «چوبير» احتفاء به تكريما لدولة فرنسا، والإشارة لأعدائه الروس بأن الدول الكبرى تتصل به وترسل وفودها إليه وتخطب وده. لكن المبعوث الفرنسى ما لبث أن مرض مرضا شديدا حتى أشرف على الهلاك بسبب ما لاقاه من

٣٤) حبيب الله شاملوئى: تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ٧٦٧.

تعذيب على يد حكام الأناضول، وأيضا عدم تحمله جو طهران الصيفى. فخشى فتح على شاه أن يموت ضيفه الفرنسى كسابقه روميو[٣٥]، فأمر الشاه بسرعة ترحيله إلى بلده بعد بضعة أيام من إقامته فى العاصمة طهران، وزوده ببضع رسائل موجهة منه إلى نابليون، وكلف أحد الأطباء الإيرانيين بمرافقته طوال فترة رحلة العودة حتى فرنسا، وشدد عليه رعاية مريضه رعاية كاملة، حتى أن الشاه توعد الطبيب الإيرانى بأنه فى حالة وفاة المريض فإنه سيواجه الإعدام بسبب الإهمال فى العلاج والقصور فى أداء الواجب المكلف به[٣٦].

وأخيرا وصل چوبير إلى فرنسا، وسلم رسائل شاه إيران إلى الإمبراطور الفرنسى، الذى كانت معلوماته عن إيران حتى ذلك الوقت قاصرة، لكنه كان يشعر بأن اهتمامه بإيران سيحقق من ورائه خططه ويصل إلى أهدافه. وبعد أن اختمرت فكرة توطيد صلته بفتح على شاه أرسل ثلاثة مبعوثين هم على التوالى: «جوانين» (Joinin) و «لابلانش» (Lablanche) و«بون تامب» (Bon Temps). والأخير احتفي به الشاه القاجارى كثيرا، وأرسله إلي أرض المعركة التى تدور فيها رحى الحرب بين إيران وروسيا ليعرف بدقة وضع الجيش الإيرانى وماقد يحتاجه من أسلحة ومعدات عسكرية، ويناقش قائد الجيش عباس ميرزا فى الأمور التى تهم البلدين، خاصة تطوير الجيش الإيرانى وتسليحه بالأسلحة الحديثة[٣٧].

---

٣٥) أدخلت حالات الوفاة لأعضاء البعثات الفرنسية الشك وسوء الظن فى قلب نابليون.

٣٦) على أصغر شميم: إيران در دوره سلطنت قاجار (إيران فى عهد الحكم القاجارى)، طهران، سنة ١٣٤٢هـ. ش، ص ٣٩ - ٤٠.

٣٧) جرانت واتسن: تاريخ إيران «دوره قاجاريه» (تاريخ إيران «العصر القاجارى») ترجمه من الإنجليزية إلى الفارسية وحيد مازندرانى، الطبعة الثانية، طهران، سنة ١٣٤٨ هـ. ش، ص ١٤٧ - ١٤٨.

وما أن عاد «بون تامب» مبعث نابليون من زيارته الميدانية لجبهة القتال إلى طهران، حتى بدأ يغرى فتح على شاه بالتعاون مع فرنسا وأطنب فى ذكر المساعدات الفرنسية من معونات عسكرية ومالية وغيرها التى تجعل الجيوش الإيرانية كفيلة بهزيمة الروس. وأفهمه أن الشعب الفرنسى سيقف بجانبه وسيتدفق على إيران للمشاركة فى الحرب حتى اقتنع فتح على شاه اقتناعا تاما بأن نابليون بونابرت هو حليف هبط عليه من السماء، والقادر على الإشتراك فى الحرب الدائرة بينه وبين روسيا. ولهذا السبب رفض شروط الصلح التى عرضها المبعوث الروسى، بل لوح بالحرب، وهدد بأنه لن يكتفى بطرد الروس من بلاده، بل سيتعقبهم ويقضي على الجيش الروسى فى عقر داره، وكان يتكلم وهو فى ثقة تامة من أن الأمور ستكون فى صالحه[٣٨].

وعندما رأى الجنرال جودوڤيتش أن مجهوداته لإنهاء الحرب مع إيران قد وصلت إلى طريق مسدود نتيجة تشدد الشاه القاجارى ورفضه أية عروض سلمية، بعث ياوره الخاص الميجور ستيبانوف إلي طهران فى شهر ديسمبر ١٨٠٦م، وحمله رسالة شخصية إلى الصدر الأعظم ميرزا شفيع المازندرانى وتوقف فى طريقه عند معسكر عباس ميرزا ولى العهد الذى استقبله وتباحث معه فى أمور شتى، ولكن القائد الإيرانى أخر سفره إلى طهران لحين إبلاغ والده الشاه وتنسيق الخطط بينهما. وقد فسر الجنرال جودوڤيتش تأخير استقبال المندوب الروسى برغبة الشاه ورجال البلاط فى الحصول على الهدايا التى تعودوا استلامها من كل ضيف قادم. وأخيرا سمح فتح على شاه للميجور ستيبانوف بالتوجه إلى طهران فى اليوم الأول من فبراير سنة ١٨٠٧م، على أن

٣٨) حبيب الله شاملوئى، تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ٧٦٨.

يرافقه حرس كبير من فرسان عباس ميرزا، إظهارا للقوة وشجاعة الجندى الإيرانى. وكان الفرسان الإيرانيون يقومون بحركات غريبة وألعاب بهلوانية أثناء سيرهم في الطريق لإقناع الممثل الروسى بأن إيران لاتزال دولة قوية، ولديها من الفرسان والجنود الشجعان ما يمكنها من الإنتصار على أعدائها. وعلى هذا النحو التمثيلى وصل ستيبانوف إلى طهران، واستقبله الشاه القاجارى فور وصوله ورحب به. وبدأ مفاوضاته مع الإيرانين مؤكدا ضرورة إنهاء الحرب بين الدولتين، والبدء فى تعاون مثمر فى ظل سلام دائم. كما لوح بمساعدة إيران عسكريا للإستيلاء على مدينة بايزيد وأرضروم من الدولة العثمانية. وكان يشير في كل مناسبة إلى عدم جدوى التعاون مع فرنسا لبعدها عن المنطقة وماهو مشهور عن الفرنسيين من الغدر.

وظل الإيرانيون يماطلون فى مفاوضاتهم اكتسابا للوقت. وأخيرا بعث الصدر الأعظم ميرزا شفيع ورئيس الوفد المفاوض الإيرانى «باقربيك» بصحبة الميجور ستيبانوف للتفاوض باسمه مع الجنرال جودوفيتش، وحمله رسالة شملت تمنياته الطيبة للقائد الروسى دون الإشارة لموضوع مفاوضات الصلح بين البلدين. وأخيرا عبر باقربيك شفهيا للقائد الروسى الجنرال جودوڤيتش عن استعداد بلاده للتفاوض حول سلام يكون لصالح الطرفين[٣٩]. وعاد أدراجه دون نتيجة تذكر.

وعلي هذا النحو من التعنت الإيرانى نتيجة توقعات فتح على شاه الخاطئة، التى زادتها تأكيدا انتصارات نابلون في أوربا التى ذاعت شهرتها فى العالم بأسره، مما أعطى الشاه ضمانا بالنصر وجعله لايتردد فى التعاون المباشر مع الفرنسيين؛ خاصة وقد ظهر عامل جديد فى الجبهة الشرقية الروسية

٣٩) دكتور كمال مظهر أحمد؛ دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٣٨.

هو إعلان الدولة العثمانية الحرب على روسيا فى ٥ يناير ١٨٠٧م، وظن أن الروس سينشغلون بالحرب مع العثمانيين وتتمكن إيران من تنظيم جيوشها بمساعدة فرنسا ومعاودة القتال ضد روسيا.



ميرزا محمد رضا القزويني والوفد الايراني أثناء تقديم رسالة
فتح علي شاه إلى نابليون في فينكينشتين

معاهدة فينكينشتين

تسلمت حكومة فرنسا مقترحات شاه إيران عن طريق «آمدی چوبير»، الذى كان دقيقا فى عرض معلوماته، ورغب نابليون فى إجراء حوار مع إيران وأسهب في ذكر المزايا التي ستعود على فرنسا من جراء ذلك. وحتى يحقق نابليون طموحاته السياسية وبلورة الخريطة التى رسمها لإمبراطوريته صمم على إدخال إيران فى فلك السياسة العالمية، وأن يشد من أزرها اجتماعيا وعسكريا، ويتعاون معها إلى أقصى الحدود حتى تستطيع مواجهة أى موقف عسكرى طارئ. بل حتى تهاجم روسيا من ناحية جنوب القوقاز، وتشغل القيصر الروسى بالحرب فى الجبهة الجديدة وتتوزع قواته في جبهتين، فيكون ذلك فى صالح الجيوش الفرنسية. ثم إن تسليح إيران وتدريب جيشها سيعود عليه بالفائدة العظيمة في إنجاز خطته فى الإستيلاء على الهند وطرد الإنجليز منها. لذلك أرسل نابليون رسالة إلى فتح على شاه مورخة فى ١٧ يناير ١٨٠٧م (٨ ذى القعدة ١٢٢١هـ) وكلف مبعوثه «دى لابلانش» بتوصيلها؛ ذكر فيها أنه أعلن الهجوم على كل من بروسيا وروسيا، وأيضا جدد إحياء دولة بولندا وختمها بترغيب شاه إيران فى مواصلة الحرب ضد روسيا وشن حملة على كرجستان.

وكان فتح على شاه تواقا إلى مثل هذه الأخبار، وتصور أنه ضمن حليفا قويا صاحب شهرة عالمية، تخيل أنه وحليفه الجديد يتساويان فى المرتبة والمقدرة. وكان أول شئ أقدم عليه دون روية أو تمحيص أن لوح لروسيا بالحرب ووعدها بالدمار إن هى لم تنسحب من الأراضي الإيرانية وكرجستان، وأسقط من حسابه إنجلترا وإنحاز كلية إلى فرنسا. وأرسل ميرزا محمد رضا خان القزوينى بيكلربيك قزوين ووزير ابنه «محمد على ميرزا دولتشاه» سفيرا إلى

بلاط نابليون، حاملا معه أفخر الهدايا، التى بلغت قيمتها ٣٣٢,٦٠٠ فرنك فرنسى[٤٠]. كما سلمه رد رسالة نابليون بونابرت، ومنحه الصلاحية التامة لتوقيع معاهدة اتحاد مع الإمبراطور الفرنسي. وكلفه أيضا بأن يعمل أقصى جهد ممكن لعقد المعاهدة، ويؤكد لنابليون أن بإمكانية الإيرانيين ضرب الروس والانتصار عليهم[٤١].

وصل السفير الإيرانى محمد رضا خان القزوينى إلى مقر قيادة نابليون فى قصر فينكينشتين فى بولندا، والتقي بالإمبراطور الفرنسى الذى أعجب بالسفير الإيرانى أيما اعجاب؛ فقد كان يمثل الشرق بسحره وعظمته وثرائه، حتى أن نابليون كان ينفرد بالسفير الإيرانى بعد الإنتهاء من المباحثات الرسمية، ويتناقش معه فى موضوعات شتى، مثل حروب إيران واليونان القديمة وحملة الإسكندر المقدونى على الهند وحروب الأشغانيين والساسانيي ضد الروم. وأخيرا وبعد مفاوضات سريعة بين الطرفين وقعت معاهدة تحالف بين البلدين فى الرابع من مايو ١٨٠٧(٢٥ صفر ١٢٢٢هـ) في نفس المدينة التى جرت فيها المباحثات، فاشتهرت باسم «معاهدة فينكينشتين»، وهذا نصها:

معاهدة تحالف بين صاحبى الجلالة نابليون وفتح على شاه

إنه بتاريخ الرابع من شهر مايو سنة ١٨٠٧ ميلادى المطابق للخامس والعشرين من شهر صفر سنة ١٢٢٢ هجرية، اختار حضرة صاحب الجلالة إمبراطر فرنسا وملك إيطاليا، وحضرة صاحب الجلالة شاه إيران لعقد معاهدة تحالف وترسيخ أواصر الصداقة كلا من:

---

٤٠) كليد خليج فارس، تأليف المشير مقتدر، مرجع سابق، ص ٧٧.

٤١) سعيد نفيسى: تاريخ سياسى وإجتماعى إيران در دوره معاصر، مرجع سابق ص ١١٠.

عن حضرة صاحب الجلالة إمبراطور فرنسا وملك إيطاليا السيد/ هوج برنارد ماريت[٤٢] وزير الدولة وحامل وشاح «لژيون دى أونير»، الحائز على نشان «سان هوبير»[٤٣] من دولة باڤاريا، ونشان «الوفاء» من دولة «بادن»[٤٤].

وعن حضرة صاحب الجلالة شاه إيران، صاحب الفخامة ميرزا محمد رضا خان السفير فوق العادة وبيكلربيكى قزوين ووزير الأمير محمد على ميرزا دولتشاه[٤٥].

واتفق كلاهما بعد تبادل الوثائق الرسمية والمباحثات على المواد التالية:

المادة الأولى: اتفق على أن يكون بين حضرة صاحب الجلالة إمبراطور فرنسا وملك إيطاليا وحضرة صاحب الجلالة شاه إيران صداقة وطيدة وتحالف دائم.

المادة الثانية: يضمن حضرة صاحب الجلالة إمبراطور فرنسا وملك إيطاليا استقلال أراضى مملكة حضرة صاحب الجلالة شاه إيران.

المادة الثالثة: يعترف حضرة صاحب الجلالة إمبراطور فرنسا وملك إيطاليا بأن كرجستان من ممتلكات حضرة صاحب الجلالة شاه إيران.

المادة الرابعة: يتعهد حضرة صاحب الجلالة إمبراطور فرنسا وملك إيطاليا

---

٤٢) Marechal Hugues Bernard-Maret.

٤٣) St. Hubert

٤٤) Baden

٤٥) محمد على ميرزا دولتشاه. هو الأبن الأكبر لفتح على شاه.

بذل أقصى مساعيه لإجبار الروس على إخلاء كرجستان والانسحاب من الإراضي الإيرانية. وأن يتدخل للحصول على هذه النتيجة عند عقد صلح بينه وبين إمبراطور روسيا، وأن تكون إيران تحت نظره دائما فى الموضوعات السياسية والمقترحات المقدمة لإخلاء هذه الإراضى.

المادة الخامسة: يرسل حضرة صاحب الجلالة إمبراطور فرنسا وملك إيطاليا إلى بلاط حضرة صاحب الجلالة شاه إيران سفيرا وعددا من سكرتيرى السفارة.

المادة السادسة: نظرا لرغبة حضرة صاحب الجلالة شاه إيران في تدريب قوات المشاه والمدفعية ووضع استحكاماته طبقا للنظم الأوروبية، فإن حضرة صاحب الجلالة إمبراطور فرنسا وملك إيطاليا يتعهد بتوفير مايحتاجه حضرة صاحب الجلالة شاه إيران من مدفعية ميدانية وبنادق وسناكى. وتحسب قيمة هذه الأسلحة طبقا لثمنها في أوربا.

المادة السابعة: يتعهد حضرة صاحب الجلالة إمبراطور فرنسا وملك إيطاليا بأن يضع تحت تصرف حضرة صاحب الجلالة شاه إيران مجموعة من خبراء المدفعية والشاه والمهندسين لتنظيم المدفعية وتدريب قوات المشاة وتقوية القلاع طبقا للنظم الأوروبية الحديثة.

المادة الثامنة: يتعهد حضرة صاحب الجلالة شاه إيران من جانبه بقطع كافة الصلات السياسية والتجارية مع إنجلترا، وأن يعلن عليها

الحرب فورا، ويسلك معها سلوكا عدائيا. وطبقا لذلك فإن على حضرة صاحب الجلالة شاه إيران إحضار الوزير المفوض الإيراني الذى أرسله إلى بومباى، ويخرج فورا القناصل والمندوبين الإنجليز المقيمين فى إيران، وطرد كافة موظفى الشركة الإنجليزية فى موانى الخليج الفارسى من أماكنهم، وأن يصادر كافة البضائع الإنجليزية التى يملكها الإنجليز سواء الموجودة على الأرض أو في البحار، ولايسمح بمقابلة مبعوث إنجليزى سواء كان سفيرا أو وزيرا مفوضا أو موظفا طوال فترة الحرب على تلك الدولة.

المادة التاسعة: إنه في كل حرب تشن على إيران أو فرنسا من قبل إنجلترا وروسيا تتحد فرنسا وإيران لمواجهة هذا العدوان من قبل هاتين الدولتين. كذلك عندما يكون الطرفان المتحدان؛ فرنسا وإيران، مهددين، أو اعتدى على إحداهما يلزم إبلاغ الطرف الآخر رسميا بكل ما يقع وإعلان الحرب فورا على العدو المشترك. وبعد ذلك تنفذ المادة السابقة بشأن كافة العلاقات السياسية والتجارية.

المادة العاشرة: يستخدم حضرة صاحب الجلالة شاه إيران نفوذه لإثارة الأفغان والعشائر القاطنة بقندهار ضد الإنجليز لتمهيد الطريق لغزو الهند والإستيلاء على المستعمرات الإنجليزية بها.

المادة الحادية عشر:

في حالة حضور مجموعات من سفن البحرية الفرنسية إلي الخليج الفارسى قاصدة الموانى الإيرانية، فإن على حضرة صاحب الجلالة شاه إيران تقديم كافة التسهيلات والمساعدات اللازمة التى يحتاجها البحارة والسفن.

المادة الثانية عشر:

إذا فكر حضرة صاحب الجلالة إمبراطور فرنسا وملك إيطاليا فى إرسال حملة عسكرية تسلك الطريق البرى بهدف شن حملة على ممتلكات الإنجليز فى الهند، فإن حضرة صاحب الجلالة شاه إيران يسمح لهذا الجيش بالمرور في أراضى مملكته من واقع الإتحاد الذى بينهما، والصداقة الوطيدة والوفاء لحضرة صاحب الجلالة إمبراطور فرنسا وملك إيطاليا. وعندما يتم هذا العمل فسوف توقع معاهدة خاصة بذلك يعين فيها الطرق والممرات التى تسلكها الجيوش، ومايحتاجونه من مواد غذائية ووسائل المواصلات. كذلك يستطيع حضرة صاحب الجلالة شاه إيران تعيين قوات إيرانية من قبله لمرافقة جيوش فرنسا.

المادة الثالثة عشر:

تدفع الحكومة الفرنسية قيمة كل مايحتاجه جنود الجيش والبحرية الفرنسية فى إيران مما يؤخذ من الأهالى طبقا للمواد السابقة ومساوية للثمن الذى يتم سداده فى فرنسا.

المادة الرابعة عشر:

تخص المادة الثانية عشرة المذكورة أعلاه فرنسا فقط. وطبقا لذلك فإن الحقوق المذكورة لايحصل عليها كل من إنجلترا وروسيا عند عقد معاهدات أخرى.

المادة الخامسة عشر:

ولنفع الطرفين سوف تعقد معاهدة تجارية أيضا فى طهران.

المادة السادسة عشر:

سوف تصوب وتوقع هذه المعاهدة بعد أربعة أشهر من تاريخ اليوم.

صودق ووقع فى المعسكر الإمبراطورى في فينكينشتين بتاريخ الرابع من شهر مايو ١٨٠٧م (المطابق للخامس والعشرين من صفر سنة ١٢٢٢ هجرية).

مكان توقيع هوج بـ. ماريت مكان توقيع سفير إيران

صورة طبق الأصل

وزير الشئون الخارجية

ش. م. تاليران - أمير بنيفين[٤٦]

(٤٦ Talléyrand-Rérigord, Prince de Bénévent.

تحليل معاهدة فينكينشتين

إذا حللنا مواد معاهدة «فينكينشتين» نجد أنها معاهدة غير متكافئة، وأن الوجه الظاهر لها هو فى صالح إيران، ولكن بمهارة الدبلوماسيين الفرنسيين وحذقهم رتبوا مواد المعاهدة بطريقة تجعل فرنسا حرة في تصرفها لدرجة أن كل موضوع طلبته أو تناولته فى المعاهدة إما أن تنهى فيه كل تعهداتها العسكرية، أو تجعله عديم الفائدة. أما إيران فقد قيدت فى مواد عديدة. وقد قبلتها إيران لحاجتها إلى معاونة سريعة من نابليون حتى تتمكن من الاستمرار فى القتال ضد الروس واسترداد الأراضى الإيرانية المغتصبة. أما نابليون فقد كان بارعا في دبلوماسيته حيث ضمن جانب إيران «عندما يفكر فى شن حملة على ممتلكات الإنجليز فى الهند»، بأن تفتح إيران موانيها أمام سفن فرنسا الحربية وتضع أراضيها تحت تصرف قواتها البرية. كما أن فرنسا حملت إيران عبئا كبيرا ابتداء من قطع العلاقات السياسية والتجارية مع إنجلترا، بل وقطع كافة العلاقات بين الدولتين وإعلان الحرب عليها، حيث كان نابليون مشغولا بالحرب مع روسيا، وهى العضو الرابع من الحلف المكون من بروسيا وإنجلترا والسويد وروسيا. وفيما يلى شرح لبنود المعاهدة من خلال تعهدات كل طرف قبل الآخر.

أ ـ تعهدات فرنسا قبل إيران:

طبقا لمواد هذه المعاهدة ضمن نابليون حماية كافة الأراضى الإيرانية من أى إغتصاب أو إعتداء وأعلن تبعية كرجستان لإيران. وتعهد نابليون فى المادة الرابعة ببذل مساعيه الحميدة لدى الروس فى عقد معاهدة صلح بين روسيا

وإيران، والإنسحاب من كرجستان والأراضى الإيرانية ما وراء نهر أرس. كما وافقت فرنسا علي تزويد الجيش الإيرانى بالأسلحة بما فيها المدافع. وكذلك بالضباط والمدربين من أجل تطوير القوات المسلحة الإيرانية.

ب - تعهدات إيران بالنسبة لفرنسا:

تعهدت إيران بقطع علاقاتها السياسية والتجارية مع إنجلترا، وإعلان الحرب عليها فورا. وطبقا للمادة العاشرة من المعاهدة تعهد شاه إيران بأن يستغل نفوذه فى تأليب الأفغان وسائر الطوائف فى قندهار ضد إنجلترا. كما تعهد الشاه بأن تفتح الموانى الإيرانية للبحرية الفرنسية، ويسمح بمرور الجيوش الفرنسية المتجهة إلى الهند بأراضى مملكته. وأن تجمع المواد الغذائية والعلوفة فى مراكز تحدد فيما بعد لتأمين إحتياجات القوات الفرنسية، على أن تسدد قيمتها بالعملة المحلية. وأيضا تتمركز البحرية الفرنسية فى جزيرة «خرج» لتأمين قوافلها البحرية والدفاع ضد أى هجوم على الموانى الإيرانية من قبل الإنجليز. وأخيرا استمرار الحرب الإيرانية الروسية بمساعدة الفرنسيين.

جـ - مواد مشتركة:

أشارت المادة الأولى من المعاهدة بأن يسود الصلح والإتحاد والوئام بين نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا وفتح على شاه القاجارى شاه إيران، وأن يكون هذا الإتحاد موجها أساسا ضد الدولتين الإنجليزية والروسية، حيث تقرر المادة التاسعة أن تتحد إيران وفرنسا فى حالة قيام إنجلترا أو روسيا بشن الحرب ضدهما. كما أنه إذا كانت إحدى الدولتين المتحدتين في حالة تهديد مباشر أو

اشتبكت فى حرب تقوم الدولتان المتحدتان فورا بمحاربة العدو المشترك(٤٧).

وكان موضوع استمرار الحرب الإيرانية الروسية بمساعدة فرنسا العسكرية والمادية والدبلوماسية، هو أهم النقاط التى كان يأمل فتح على شاه الحصول عليها حيث كان الجيش الإيرانى قد أصبح عاجزا تماما عن مواجهة الروس فى حرب أخرى. وكان شاه إيران فى حاجة إلى الأسلحة والعتاد والخبراء العسكريين الأوروبيين أكثر من أى شئ آخر. ولما كان فتح على شاه يأمل أن تتوفر النية الحسنة لكلا الطرفين، الإيرانى والفرنسى، فإنه نفذ تعهداته من جانبه بكل أمانة وشرف، وفى نفس الوقت كان يطمع أن يحفظ نابليون العهد وينفذ تعهدات فرنسا أيضا.

٤٧) حبيب الله شاملوئى؛ تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ٧٨٢. والمشير مقتدر: كليد خليج فارس، مرجع سابق، ص ٧٦.

الجنرال جاردان أول سفير فرنسي لدى البلاط الإيراني

نشط الجواسيس الإنجليز في عملهم حتى كانت تصلهم أخبار معاهدة فينكينشتين مادة مادة وما اتفق عليه سرا وعلنا. فما كان من حكومة الهند البريطانية - والتى كان من اختصاصها إيران - إلا أن أرسلت السير «جون مالكولم» الخبير في الشئون الإيرانية، والذى سبق له أن رأس بعثة إنجليزية إلي بلاط شاه إيران عام ١٨٠٠ ووقع معاهدة بين الطرفين الإنجليزى والإيرانى إلي إيران. وكان يرافقه وفد من ستة أشخاص من قبل حاكم الهند باسم «جورج الثالث» ملك إنجلترا، ونزل في ميناء بوشهر، وطلب إذنا من السلطات الإيرانية بالسماح له بالتوجه إلى العاصمة طهران، والتباحث مع الشاه القاجارى في خطورة تنفيذ معاهدة التحالف الإيرانية الفرنسية. وسمحت له الحكومة الإيرانية بذلك، وحاول إقناع الشاه القاجارى بأن المعاهدة الإيرانية الفرنسية موجهة بالدرجة الأولى ضد إنجلترا والمصالح الإنجليزية فى الشرق، ولمح له بأن إنجلترا لن تسكت بدورها على أى تهديد لمصالحها أو الإعتداء على أراضيها، وأن حاكم الهند سيضطر إلى الإستيلاء على جزيرة «خرج» والساحل الإيرانى من الخليج دفاعا عن مصالح الإمبراطورية[٤٨].

وبعد مرور أقل من أسبوع على توقيع معاهدة التحالف الإيرانية الفرنسية (معاهدة فينكينشتين) قرر نابليون، بعد وصوله أخبار مناورات الإنجليز فى إيران لوأد المعاهدة، إرسال سفير من قبله هو «الجنرال كلود - ماتيو جاردان» (Claude-Mathieu Gardanne) من سلاح الفرسان على رأس بعثة فرنسية حتى يمنع أى اتصال سياسى أو عسكرى بين إيران وإنجلترا، وقطع خط الرجعة

٤٨) حبيب اله شاملوئى، تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ٧٨٢.

كاملا عليهم. وكان جاردان يتميز بكفاءة عسكرية نادرة مكنته من مساعدة الجيش الإيرانى ليكون فى وضع يسمح له بالصمود أمام الروس من ناحية، ودراسة جغرافية إيران وإمكاناتها لاتخاذها طريقا لحملة فرنسية على الهند من ناحية أخرى. وعلى هذا النحو رافقته بعثة عسكرية مكونة من رئيس وهو الجنرال جاردان، وله كافة الصلاحيات، وعدد من الوكلاء، وكاتب، وضابط مهندس، وضابط بحرى، وعالم طبيعيات، وطبيب، ورسام، وحرس مكون من ثلاثمائة ضابط وجندى وموظفين إداريين وخدم. وكان من بين أعضاء البعثة شقيق الجنرال جاردان، وروسو (Rousseau)، وكان يشغل وظيفة القنصل الفرنسى في بغداد ومن موظفى وزارة الخارجية الفرنسية الأكفاء ومتخصص فى عقد المعاهدات والاتفاقات، وزميله «لازار» (Lazard) والكاتب «جوانين» (Jouanin)، والمستشرق عالم الإيرانيات «إسكالون» (Escalon) كمترجم (والذى سبق ذكره على أنه تاجر باستانبول) وطبيب وأربع قساوسة وخمس عشرة شخصية عسكرية من مختلف التخصصات، وكان من بينهم النقيب «تريزيل» (Trezel) ياور الجنرال جاردان، وقد حصل فيما بعد على درجة مارشال بالجيش الفرنسى، والنقيب «لامى» (Lamy)والملازم «فابفييه» (Fabvier)، والضابط «برتراند» (Bertrand) وكلهم من المتخصصين فى صناعة المدافع، وضابطان من سلاح المشاه. وتعهد شاه إيران بدفع نفقات البعثة العسكرية ابتداء من وقت دخولها الحدود الإيرانية حتى وقت رحيلها من إيران.

وبعد أن جهز الجنرال جاردان أوراقه الرسمية ودرس تعليمات نابليون الصادرة له، ونظم أعماله صدرت له الأوامر بالتوجه إلي إيران، فدخل طهران مع مرافقيه في أواسط ديسمبر ١٨٠٧م (أوائل شعبان ١٢٢٢هـ) في أبهة

فائقة، وقدم إلى فتح على شاه رسالة صداقة موجهة من نابليون ونسخة من معاهدة التحالف، وأصر على أن تمهر بخاتم الصدر الأعظم فى المقابلة الأولى.وعين الشاه القاجارى «ميرزا عسكر خان أفشار» سفيرا فوق العادة لإيران لدى إمبراطور فرنسا وكلفه بتسليم المعاهدة بعد توقيعها وإبلاغ نابليون تحيات الشاه وتمنياته الطيبة.

وطبقا لما ورد فى مذكرات الجنرال جاردان نجد أن تعليمات نابليون الصادرة له كانت تشمل الموضوعات التالية:

(١) يقدم الجنرال جاردان دراسة جغرافية لكافة المناطق الإيرانية مشتملة على الكثافة السكانية والشئون المالية والزراعية لكل منطقة، وأوضاع الجيش الإيرانى وتسليحه ونظامه وقوات الشرطة والأمن الداخلى، ودراسة الطرق البرية الإيرانية والبحرية للإستفادة منها فى نقل جيش فرنسى قوامه أربعين ألف رجل إلى الهند، وعمل خريطة عسكرية وأخرى جغرافية للطرق والموانى الواقعة على الخليج الفارسى.

(٢) يفهم الجنرال جاردان أن الروس هم أعداء إيران الحقيقيين، حيث إنهم استولوا على كرجستان، وهى إحدى الدويلات التابعة لإيران، ويهددون أهم الولايات الإيرانية طبقا لخطة توسعية روسية لضم أراض آسيوية إلى مناطق نفوذهم. وإمعانا في عداء الروس للقاجاريين فإنهم لم يعترفوا بالأسرة القاجارية كحكام لإيران، وأنها لاتزال تذكر شاه إيران بأسمه الأصلي «بابا خان». وأنه منذ تولية آغا محمد خان القاجارى العرش الإيرانى لاتزال إيران فى حالة حرب مع روسيا. وعلى الجنرال جاردان

تنمية هذه الخصومة عند الإيرانيين، وإشعال نار العداوة بينهم وبين الروس، وتأليب الشعب الإيراني ضد الروس والوقوف في وجه أي تقارب بين الاثنين، وإفهام الإيرانيين أن الروس يحاولون إفناء قوميتهم. وأخيرا إفهام الإيرانيين أن روسيا هي العدو الطبيعي رقم واحد لإيران.

(٣) يشترك الجنرال جاردان في وضع الخطط العسكرية الإيرانية، ويتعايش هو وأفراد بعثته مع الضباط الإيرانيين ليفهم مشاعرهم، ويجاريهم في أحاسيسهم، ويعلّم الإيرانيين كل مايعرفه من معلومات عسكرية والتى حصل عليها من خلال تجربته العملية مهما كانت دقيقة وسرية، وأن يتعامل في هذه المرحلة الدقيقة مع عباس ميرزا ولى العهد وقائد جيوش الإتحاد، وينسق معه الخطط العسكرية، وتقديم المعاونة والمشورة الممكنة مع مستشاريه للجيش الإيراني، وينسق معه طريقة توجيه القوات المسلحة وضرب الروس ضربات معجزة وقاتلة. وأوضح له أنه يمكن لإيران أن تضغط على روسيا منتهزة فرصة إرسال جزء من قواتها إلى الجبهة الأوربية مما يخلخل استحكاماتها في جبهة القوقاز، ليتسنى لإيران استرداد كافة أراضيها التى استولت عليها روسيا بالحرب.

(٤) يدرك الجنرال جاردان أن قدرة روسيا في كرجستان التى سلمها آخر ملك كرجى إلى القيصر الروسى ليست قوية أو ثابتة الأركان، بل ينظر الشعب الكرجى بحسرة إلى حكم الإيرانيين. هذا علاوة على أن سلسلة جبال كرجستان تعد حدا طبيعيا لإيران من الناحية الشمالية، وأن إيران لن تقبل أن تقع جميع معابر هذه الجبال في أيدي الروس ولن تسمح بذلك

مهما كانت الظروف.

(٥) أن يبذل الجنرال جاردان أقصي جهده فى أن يتوافق الإيرانيون والعثمانيون إلى حد ما في العمليات العسكرية بين بحر قزوين والبحر الأسود ضد الروس، لأن ذلك فى صالحهما؛ وذلك عن طريق السعى لإيجاد تحالف ثلاثى بين فرنسا وإيران والدولة العثمانية، خاصة وأن روسيا تهدد الدولتين بالفناء بسبب إتساع صحراواتها وتجمد أراضيها مما يجعلها تطمع فى الإستيلاء على الأراضى الزراعية الإيرانية والعثمانية ذات الطقس الجيد.

(٦) أطلع نابليون الجنرال جاردان على خطته العسكرية للإستيلاء على الهند، والتي ستتكون حملتها من جيش فرنسي خالص يتراوح أفراده مابين ٤٠ إلى ٥٠ ألف جندى، وأنه وقع إختياره على إيران بالذات لموقعها الإستراتيجى وقربها من الهند، وإمكانية استخدام جنود إيرانيين وهنود سيخ فى الحملة.

(٧) يدرك الجنرال جاردان أن إيران اليوم واقعة تحت ضغط المد الروسى من الشمال وممتلكات الإنجليز في الجنود، وأن كل قدم يستولي عليه أعداء فرنسا (أى روسيا وإنجلترا) يزيد إيران خوفا وهلعا من الإنهيار التام والزوال، وإن فكر الإيرانيون في ذلك الخطر وأرادوا تدارك الأمر فعليهم الإشترال مع الفرنسيين فى خصومتهم لإنجلترا.

(٨) تنظر فرنسا إلى إيران من وجهتين؛ الأولى من ناحية أنها العدو الطبيعى لروسيا، والثانية أن أراضيها أنسب طريق للجيش الفرنسى المتجه إلى

الهند. وعلى ذلك فعلى الجنرال جاردان إيفاد الخبراء بالسرعة الممكنة لدراسة حالة الجيش الإيرانى وقواته المسلحة ودراسة الطريق المؤدى إلى الهند، والمواقع التى تصادف تحركات الجيش الفرنسى الذى سيسلك أحد الطريقين؛ الأول طريق حلب فبغداد ومنها إلى إيران، والثانى طريق البحر والرسوّ فى أحد موانى الخليج الفارسى الإيرانية وتدوين رسائل فى هذا الشأن.

(٩) وفى حالة تحرك الجيوش الفرنسية عن طريق حلب، فإنه يلزم رضاء الباب العالى حي ستنزل القوات الفرنسية فى ميناء الاسكندرونة. وفى حالة اختيار الطريق البحرى عن طريق رأس الرجاء الصالح فإن الحملة ستنزل فى أحد الموانى الإيرانية بالخليج الفارسى.

وفى كلتا الحالتين يلزم دراسة الطرق التى ستمر بها الجيوش الفرنسية من منطقة النزول حتى الهند، وتحديد المشكلات التى تصادفها، وهل يوجد فى الطريق وسائل نقل كافية أم لا؟ وماهو نوع هذه الوسائل؟ وهل يمكن حمل المدفعية ونقلها عبر الأراضى الإيرانية أم لا؟وهل هناك معوقات يمكن التغلب عليها أو تجنبها من عدمه؟ وهل يوجد ماء بالقدر الكافى لحملة قوامها أربعون ألف رجل ومواد تموينية من عدمه؟

وفي حالة إتخاذ طريق جنوب أفريقيا يجب أن يبحث عن قواعد تنزل فيها القوات الفرنسية، وأى الموانى أنسب لرسو السفن ذات السبعين مدفعا أو ذات الأربعة والسبعين مدفعا. وفى أى منها يمكن نقل المدفعية وتكون فى حماية أفضل من خطر هجوم سفن الأعداء. وفى أى منها يمكن الحصول على المواد

التموينية اللازمة والماء الكافي بالنقود، ويجب تحديد أماكنها. وهل هناك خيول تكفى جنود الفرسان وحمل المدفعية بسهولة من عدمه؟...

وفي ٢١ يناير ١٨٠٧ (٢٢ ذي القعدة ١٢٢٢هـ) وقعت في طهران إتفاقية بين فرنسا وإيران تشمل ست مواد تختص بتسليم ٢٠ ألف بندقية من الحكومة الفرنسية تبيعها فرنسا لإيران بواقع ٣٠ فرنكا للبندقية الواحدة، وتسلم فى ميناء بوشهر، أو تعين الحكومة الإيرانية ميناء آخر يقع على الساحل الإيرانى للخليج الفارسى. وقد أرسل الجنرال جاردان صورة هذه الإتفاقية وترجمتها والتعليق عليها للحكومة الفرنسية.

وفى ٢٦ يناير ١٨٠٧ وقعت معاهدة تجارية اشتملت على ٢٣ مادة؛ وقعها عن إيران ميرزا شفيع المازندرانى الصدر الأعظم، وعن فرنسا الجنرال جاردان. وموضوعاتها تشمل مايلى: المواد ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٦ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ و٢٣ خاصة بتنظيم العلاقات الدبلوماسية والقانونية والتجارية والإقتصادية والمذهبية لأتباع فرنسا القاطنين فى إيران، والعلاقات بين الإيرانيين والفرنسيين. والمواد من ٥ حتى ٨ و٩ خاصة بالجمارك. والمواد من ٧ حتى ١٥ و ١٧ تتعلق بالنقل البحرى ورسو السفن التجارية والحربية. وكانت المادة ١٧ من المعاهدة تشتمل على تسليم إيران جزيرة «خرج» لفرنسا لتتخذها قاعدة بحرية لقواتها البحرية ونشاطها البحرى فى الشرق. وفى مقابل ذلك ستسعى فرنسا لاسترداد إيران إقليمها الضائع كرجستان ومدن القوقاز التى تحلتها روسيا.

وحتى يظهر فتح على شاه حسن نيته بالنسبة لتنفيذ مواد معاهدة

فينكينشتين أصدر تعليماته إلى سفيره في بومباى «نبى خان» بالعودة فورا إلى إيران. كما أصدر أوامره بطرد كافة الإنجليز وأتباع إنجلترا من إيران، وعدم التعامل مع البضائع الإنجليزية أو نزولها الموانى الإيرانية، ومصادرة الموجود منها كغنائم حرب. وفى الناحية المقابلة إجتهد الجنرال جاردان في تعليم وتدريب الضباط والجنود الإيرانيين بكل جدية. كما وزع بعض ضباطه من المشاة والفرسان والمدفعية على مختلف وحدات الجيش الإيرانى والالتحام بأفراده، والتعايش معهم، خاصة فى منطقة آذربيجان. وقد سعى قائم مقام فراهانى وزير عباس ميرزا ولي العهد وقائد عام الجيش الإيرانى إلى أن يتم تدريب القوات المسلحة الإيرانية بالسرعة الممكنة، وأن يكون على علم بما يتم يوميا. فكان نتيجة ذلك تأسيس جيشين من المشاة في فترة قياسية على النظم الأوربية؛ أطلق على أحدهما «جانباز»، وعلى الآخر «سرباز»(٤٩).

كذلك تحركت مجموعة من المهندسين الفرنسيين وضباط البحرية المتخصصين للعمل في الجنوب لرسم الخرائط اللازمة للطرق الموجودة في مناطق إيران الجنوبية والمركزية وموانى الخليج الفارسى وبحر قزوين فى الشمال(٥٠) وأنشىء مصنع لصب المدافع في أصفهان. ونجح الملازم «فابڤييه» فى تشكيل وحدة مدفعية ميدانية وجهز لها ٢٠ مدفعا. كما أسس مصنعا حربيا آخر في

٤٩) كلمة «جانباز» تعنى فى الفارسية حرفيا «المغامر بروحه، وكلمة «سرباز» تعنى أيضا المغامر برأسه. ولاتزال الكلمة الأخيرة تعنى في القاموس الفارسي والعسكرية الإيرانية «الجندى».

٥٠) بحر الخزر: ويسمى أيضا بحر قزوين وبحر مازندران، يعد أكبر بحيرات العالم ولذلك أطلق عليه كلمة «بحر» ويقع فى شمال إيران، ويبلغ طول سواحله حوالى ٧ آلاف كيلو متر، يقع أكثر من ستة آلاف منها داخل الإتحاد السوفيتى وأقل من ألف داخل إيران. وحرية الملاحة في بحر قزوين مقيدة بإتفاقيات مع روسيا القيصرية ووريثتها الاتحاد السوفيتي، وتشمل الصيد فى البحر ونوع السفن الحربية الإيرانية والتوغل فى البحيرة ذاتها. ويتميز بموقع إقتصادى وسياسى وإستراتيجى كبير بسبب وقوعه بين إيران والاتحاد السوفييتى.

طهران للأسلحة الصغيرة، وعمل الضابط «ڤرديير» (Verdier) تحت الإشراف المباشر لعباس ميرزا، وأتم بجهده المتواصل تدريب أربعة آلاف جندى من الجنود الواقفة في المواجهة مع الروس على النظم الأوربية فى فترة وجيزة(٥١).

٥١) حبيب الله شاملوئى؛ تاريخ إيران، مرجع سابق ٧٨٥. ومحمود محمود؛ تاريخ روابط سياسى إيران وانكليس در قرن نوزدهم (تاريخ العلاقات السياسية الإيرانية الإنجليزية فى القرن التاسع عشر) المجلد الأول، الطبعة الثالثة بدون تاريخ، ص ١٦٦ - ١٦٨.

أثر معاهدة «تيلسيت» على إيران ومصير العلاقات الفرنسية الإيرانية

وإذا انتقلنا إلى الجبهة الأوروبية نجد أن الحرب اشتعلت بين فرنسا وروسيا، ولم يكن الجنرال جاردان قد جاوز نصف طريق رحلته. وانتصر نابليون بونابرت على القيصر الروسى وهزم القوات الروسية هزيمة ساحقة فى معركة «إيلو» (Eylou)، وكان نتيجة ذلك أن عقد العاهلان الفرنسى والروسى معاهدة «تيلسيت» (Tilsit) في شهر يونيو ١٨٠٧ (جمالى الأولى ١٢٢١هـ) فتحسنت بعدها العلاقات بين نابليون بونابرت وألكساندر الأول قيصر روسيا. وقد أمنت فرنسا نفسها فى هذه المعاهدة، واتفق العاهلان على إطلاق يد نابليون فى رسم خريطة أوربا. وبذلك حصل نابليون على غرضه، بل وحقق جزءا من طموحاته.

لقد كان أول لقاء بين العاهلين الروسى والفرنسى، والذى وقع فى وسط نهر «نيمن» (Niemen) وديا للغاية حلت فيه المشاكل المعلقة بين روسيا وفرنسا، كما تناولا كافة الموضوعات التى تهم العاهلين. وتم كل ذلك فيما عرف باسم إتفاقية تيلسيت السرية (١٨٠٧م) التى تمثل ذروة قوة نابليون وأصبح صاحب الكلمة العليا في أوروبا بعد كسر شوكة كل من النمسا وبروسيا(٥٢). وفى الظاهر أعلن كلاهما موضوعات التسوية والتى شملت توسط نابليون في الصلح بين روسيا والدولة العثمانية، كما توسط ألكساندر الأول في الصلح بين فرنسا وإنجلترا، وأخيرا أعلنا أنهما ينشدان السلام والهدوء لأوروبا(٥٣).

---

٥٢) دكتور عبد الفتاح حسن أبو علية ودكتور إسماعيل ياغى: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر الرياض، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٨.

٥٣) دكتور محمد فؤاد شكرى: الصراع بين البرجوازية والإقطاع (١٧٨٩ - ١٨٤٨)، المجلد الثانى، القاهرة، سنة ١٩٥٨م، ص ٧٠ - ٧٧.

وإذا نظرنا إلى واقع الأمر نجد أنه قد أصبح من المتعذر جدا على نابليون أن يطبق مواد معاهدة «فينكينشتين» بين فرنسا وإيران، بعد أن وقع صلح «تيلسيت» مع القيصر الروسى؛ ذلك الصلح الذي أطلق فيه الإمبراطور الفرنسى يد روسيا فى التوسع على حساب الدولتين العثمانية والقاجارية. ولقد أصبح على نابليون أن يعيد النظر فى معاهدة فينكينشتين. وتفتق ذهن نابليون عن خطة تقوم على أساس إرسال بعثة علي مستوى عال إلى فتح علي شاه تقوم بدور الوساطة فيما نشب من منازعات بين إيران وروسيا وحل المشاكل بينهما، خاصة حول كرجستان بدلا من امتشاق الحسام الذى يحرج فرنسا كل الإحراج بين حليفتيها.

ومن جانب ألكساندر الأول قيصر روسيا فإنه لم يكن مستريحا إلى المعاهدة السرية نتيجة طموحات نابليون؛ ذلك أن إمبراطور فرنسا كان مصمما على شن حرب بحرية أوروبية ضد إنجلترا، لكنه لم يتمكن من حصار الجزر البريطانية، وزاد من خطورة الموقف أن أوروبا كانت قد أكملت اتحادها لمواجهة نابليون. فظهر أول خلاف بينهما على الشرق؛ ذلك أن إيران والدولة العثمانية كانتا قد تقاربتا فعلا من فرنسا وتستعدان للاشتراك معها في الحرب ضد روسيا، وهذا مما جعل نابليون في موقف حرج للغاية بالنسبة لتعهداته، فوقف مكتوف اليدين إزاء حلفاء الأمس، وشاهد بنفسه تحرك الجيوش الروسية من جبهة بولندا، والتى بدأت تشن هجمات ضارية علي كافة جبهات القتال فى كلتا الدولتين الإيرانية والعثمانية.

ولم يكن فى وسع الدولتين العثمانية والقاجارية إلا الإستمرار فى قتال

الروس، وتعاونتا معا، وقاد كل من عباس ميرزا جيشا إيرانيا قوامه عشرين ألف مقاتل، ويوسف باشا قائد جيش أرضروم جيشا عثمانيا في نفس عدد الجيش الإيرانى. لكن القائد الروسى «جودوڤيتش» تمكن من هزيمة الجيش العثمانى. وما أن وصل عباس ميرزا إلي أرض المعركة لنجدة حليفه العثمانى حتى رأى بعينى رأسه هزيمة الجيش العثمانى، وقتلاه متناثرون على أرض المعركة. فآثر الإنسحاب تجاه «إيروان» دون الاشتراك في القتال بعد أن كانت خطة القائدين، الإيرانى والعثمانى، أن يدخل الجيش العثمانى من ناحية الشرق والجيش الإيرانى من ناحية كرجستان.

حاول فتح على شاه الاستنجاد بحليفه نابليون، لكن الأخير لم ينجده، بل أعرض عن الرد على رسائل الشاه القاجارى، ووجدت إيران نفسها تواجه روسيا بثقلها العسكري وجنودها المدربين، والأدهى من ذلك لم يطرح نابليون مسألة إيران للمناقشة العلنية على الصعيد الرسمى مع ألكساندر الأول القيصر الروسى. ولكنه فعل عكس ذلك، حيث اتفق نابليون على إطلاق يد القيصر الروسى فى إيران، وأن تكون من نصيب روسيا. لقد ظن نابليون أن وقوع إيران تحت سيطرة روسيا سيكون فى صالح فرنسا وتخدم الصداقة الروسية الفرنسية أكثر من التحالف مع إيران بمفردها. كما تصور أنه بوقوع إيران في يد الإنجليز أعدائه فإن فرنسا لن تستفيد من الوضع الجديد للعداوة الكامنة بين فرنسا وإنجلترا، بل ولا تؤثر على الساحة الأوروبية التى يوليها نابليون كل اهتمامه.

وعلى كل حال أنهت معاهدة «تيلسيت» سياسة نابليون في الشرق، وانصرف عن تجهيز حملته إلى الهند، أو ضرب المصالح الإنجليزية فى أعالى

البحار. ولعل ذلك نتج عن احتمال وقوع حرب جديدة بينه وبين النمسا، الأمر الذي جعله بحاجة إلى تأييد روسيا. ثم بدأت تفتر علاقة نابليون بإيران، بعد أن أصبح فى غير حاجة إلى مساعدة إيران له ضد روسيا وانصرافه عن حملة الهند. ورغم اللقاء الذى حظى به «عسكر خان أفشار» سفير شاه إيران لنابليون، والذى قدم فيه سيوف تيمورلنگ ونادر شاه الأفشارى، فقد كان لقاء فاترا، ولم يعطه نابليون أى اهتمام بعد ذلك. وبعد فترة قصيرة من إقامة عسكر خان أفشار فى باريس عاد أدراجه إلى إيران حاملا سلاما فاترا وخاليا من المودة من نابليون إلى فتح على شاه.

وهكذا خاب أمل فتح على شاه فى تأييد نابليون بعد أن وضع حساباته وخططه على تعاون فرنسى إيرانى أكده قدوم الجنرال جاردان ورسائل نابليون، لكنه نظر للأمر من وجهة إيرانية فقط، ولم يقتنع أن ساحة العمليات العسكرية فى أوروبا قد غيرت أوضاعا كثيرة، منها آماله فى مساعدة فرنسا، خاصة وأن مسألة استرداد إيران لكرجستان لم تثر إطلاقا بين العاهلين الفرنسى والروسى فى مباحثاتهما للصلح فى تيلسيت. بل والأدهى من ذلك أن نابليون وافق على إطلاق يد القيصر الروسى في إيران على أمل الاستفادة من مساعدات روسية وتأييد فى حربه ضد إنجلترا.

وطبقا للمصالح المشتركة فإن العاهلين الروسى والفرنسى وجدا أن مصلحتيهما تقضي بتوقيع معاهدة صادقة وسلام بينهما، وفى نفس الوقت إحكام خطتيهما لضرب عدوتهما إنجلترا. وقد هدأت الساحة الأوروبية قليلا ونشطت كل دولة فى إعادة ترتيب حساباتها طبقا للواقع الجديد. وجاهدت

إنجلترا ووقفت فى وضع استعداد تحسبا من شن حرب طارئة والحفاظ على فتح الطرق المؤدية إلى الهند مفتوحة أمامها دائما؛ لذلك تتبعت حركات نابليون ومبعوثيه، وأحكمت حصارها علي منافذ الهند البرية والبحرية.

أما على الساحة الإيرانية فإن التقارب بين نابليون وفتح على شاه أدى إلى تشدد إيران في موقفها المتعنت تجاه مقترحات روسيا بشأن عقد الصلح لإنهاء حالة الحرب بين الدولتين؛ الأمر الذى كان يشغل القيصر الروسى إلى درجة كبيرة بسبب إنشغال جيوشه في الجبهة الأوروبية، وفى ميادين القتال مع تركيا مما دفع بالجيوش الروسية إلى اتخاذ احتياطات عسكرية جديدة فى جبهات القتال مع إيران.

وانعكس فتور اهتمام نابليون بإيران نسبيا إثر توقيعه معاهدة «تيلسيت» على نشاط البعثة الفرنسية الت يرأسها الجنرال جاردان، فامتنعت الحكومة الفرنسية عن تزويد إيران بالأسلحة المتفق عليها في الاتفاقية الخاصة بذلك والمعقودة بين البلدين. كما أرسل نابليون إلى سفيره الجنرال جاردان أن يضغط بقدر الإمكان على الشاه القاجارى والصدر الأعظم ميرزا شفيع المازندرانى لقبول الصلح مع روسيا، وإن لم تقبل إيران الصلح فعليه التوقف عن تعليم وتجهيز الجيش الإيرانى، ويعترض على كل إجراء تقدم عليه إيران مخالفا سياسة فرنسا العامة. قد أورد الجنرال جاردان في مذكراته جزءا من أوامر وزارة الخارجية الفرنسية والتى تعد من أهم الوثائق التاريخية سواء بالنسبة لفرنسا أو لإيران؛ يقول: «.. إن استمرار الحرب بين إيران وروسيا ليس له فائدة بعد الآن، ويميل صاحب الجلالة الإمبراطور المعظم «أى نابليون» إلى أن يتم

الصلح بين هاتين الدولتين، وأنه على أتم استعداد لتقديم مساعدته للوصول إلى هذا الغرض. ولما لم يكن لفتح على شاه مندوب فى تيلسيت، فإن هذا الصلح لم يكن سهلا. وإن كان حضرة صاحب الجلالة الإمبراطور قد تباحث في هذا الشأن مع إمبراطور روسيا، وليس لديه ما يمنع من توقيع معاهدة مع إيران، وحتى تكون الحكومة الإيرانية حرة في تعاملها مع الإنجليز عليها أن توافق على هذه المعاهدة»(٥٤).

وكان نبأ عقد معاهدة تيلسيت على فتح على شاه كوقع الصاعقة، وأدرك أن نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا قد غدر به، وعمل خلاف مانصت عليه معاهدة فينكينشتين، خاصة وأن معاهدة تيلسيت لم يرد فيها أصلا حقوق إيران فى القوقاز واسترداد كرجستان، فأهمل من جانبه المعاهدة الموقعة بين إيران وفرنسا، وكان قد شرع فى تنفيذ البنود الخاصة بالتعهدات الإيرانية، خاصة أنه لم يرد أى شئ عن الوضع الجديد من نابليون، ولم يبذل أدنى جهد فى حل أزمات فتح على شاه الذى أعتبر أن عمل نابليون هذا طعنة فى صدر إيران. ولما كان فتح على شاه يلح على الجنرال جاردان أن يعطيه ردا قاطعا وتفسيرا مقنعا، اضطر الأخير أن يدخل فى مباحثات مع قائد القوات الروسية على الجبهة الإيرانية «الجنرال جودوڤيتش» (General Goudowitch) للدخول فى مباحثات مع إيران على أساس أن حكومة فرنسا قد أصدرت تعليماتها له بذلك، وطلبت منه أن ينحى الخصام والعداوة جانبا وينظر إلى الوضع الدولى الجديد الذى ساد فيه السلام وحل الأمن بدل الدمار في أوروبا، ووافق على ذلك العاهلان الروسى والفرنسى، وعلى ذلك فعليه أن يقبل توقيع معاهدة صلح بينه وبين إيران.

٥٤) جرانت واتسن، وترجمة وحيد مازندرانى. تاريخ إيران دوره قاجاريه، مرجع سابق، ص ١٣٠.

وكان رد الجنرال جودوڤيتش الروسى على عرض الجنرال جاردان الفرنسى بأنه يرحب بذلك، شريطة قبول الحكومة الإيرانية أن تكون حدودها الرسمية مع روسيا هى أنهار: «آرياچاى - أرس - كر»، عند ذلك فسيكون على أتم استعداد للدخول في مفاوضات الصلح والسلام. كما أرسل الجنرال الروسى نسخة من هذا الرد إلى عباس ميرزا قائد الجيش الإيرانى للإطلاع عليه، وأبلغه أنه في حالة رفض إيران على مقترحاته فإن الحرب ستستمر بين الجانبين، بل وستكون أكثر ضراوة من سابقتها، وأنه سيلحق الدمار بكل شبر من الأرض الإيرانية يستولى عليه(٥٥).

اعتبر عباس ميرزا هذا الرد بمثابة إنذار أرسله الجنرال جودوڤيتش، وكان وقعه شديدا على قلبه. أما الجنرال جاردان فرد عليه بأن يتم التفاوض بين الجانبين فى فرنسا، ويكون طرفا المباحثات عسكر خان أفشار السفير الإيرانى فى باريس، والكونت تولستوى السفير الروسى لدى بلاط إمبراطور فرنسا، وأن تقع المباحثات تحت إشراف نابليون بونابرت، وأيضا يصدر قرار بوقف القتال بين الجانبين. وقد حال دون وصول الجنرال جاردان إلي حل سلمى يرضى به الطرفان رفض الحكومة الإيرانية مقترحات الجنرال جودوڤيتش، ورفض الأخير عرض عباس ميرزا، مما كان سببا فى غضب الشاه القاجارى على الجنرال جاردان غضبا شديدا، واعتبره مسئولا عن كل مايحدث على الساحة الإيرانية وكثيرا ما كان يصرح بأنه لا فائدة في استمرار إقامة الجنرال جاردان في إيران(٥٦).

٥٥) دكتور أحمد تاج بخش؛ تاريخ روابط إيران وروسية درنيمه أول قرن نوزدهم، مرجع سابق، ص ٣٩ - ٤١.

٥٦) جرانت واتسن، ترجمة وحيد مازندرانى؛ تاريخ إيران، مرجع سابق، ص ١٣٧.

وكان رد الجنرال جاردان على تصرفات الشاه القاجارى الشخصية وتصرفات رجال البلاط والحكومة الإيرانية غير الودية أن استدعى أعضاد بعثته العسكريين إلي طهران. ومكث فى العاصمة الإيرانية أكثر من عام فى وضع غير طبيعى بعد أن صدرت له التعليمات من باريس بمنع الفرنسيين أعضاء البعثة من الاشتراك فى العمليات الحربية بين إيران وروسيا.

ورغم رد الفعل الكبير في بداية الأمر، فإن شاه إيران يهدأ بعض الشئ، ولم يفقد الأمل فى نيل المساعدات الفرنسية حتى بعد عقد معاهدة تيلسيت وتوتر الموقف مع مبعوثها الجنرال جاردان.

وتجدد القتال على طول الجبهة القوقازية بين إيران وروسيا بعد أن نقلت الأخيرة جزءا من قواتها المتمركزة في بولندا إلي جبهة القوقاز بعد انتهاء حربها مع فرنسا، والتى انتهت بهزيمتها وتوقيع معاهدة تيلسيت. وكان تركيز القيادة الروسية ينحصر فى الحصول على نصر حاسم وسريع لقواتها فى الجبهة القوقازية لتعوض الهزيمة التى لحقتها فى أوروبا ورفع معنويات الجنود الروس. فزاد الضغط الروسى على جبهه القوقاز مما أحرج القوات الإيرانية وجعلها فى موقف صعب للغاية. ولم تؤد نداءات إيران طلب المعونات الفرنسية وتطبيق بنود معاهدة فينكينشتين إلى نتيجة تذكر، بل كانت كلها آمالا ضاعت على مسرح الأحداث، حتى أن الصدر الأعظم طلب من الجنرال جاردان أن يتدخل نابليون لدي الروس إما بالصلح أو بالإنسحاب من القوقاز وكرجستان.

وقامت فرنسا من جانبها بحركة دبلوماسية بارعة ذلك أنها أصدرت تعليماتها إلى الجنرال جاردان تؤكد فيها على ضرورة بذل كل ما فى وسعه لعقد

صلح بين روسيا وإيران على أسس مشرفه. واستبشرت إيران خيرا وفسرت طهران ذلك بأنه يعنى إعادة جميع البلاد التى تحتلها روسيا بما فيها كرجستان وداغستان إلى إيران. ولما لم يجد الشاه القاجارى تحركا دبلوماسيا فرنسا فى هذا الشأن خاب أمله، وللمرة الثانية، حتى أعلن أن السماح بمرور القوات الفرنسية المتجهة إلى الهند عبر بلاده أمر مرهون باستعادة إيران أراضي ما وراء القوقاز. ورغم تعليمات الحكومة الفرنسية إلى الجنرال جاردان بالتحفظ في تصرفاته وإستدعاء أعضاء البعثة العسكرية إلى طهران والتنبيه عليهم بعدم الإشتراك في القتال فإن أفراد البعثة جميعا عملوا بطريقة نشطة وقدموا خدمات جليلة للجيش الإيرانى. كذلك غيرّ نابليون فكرته عن الشرق كلية لأسباب عديدة؛ أهمها على الإطلاق صلحه مع روسيا وصداقته مع القيصر الروسى ألكساندر الأول، وإنشغاله مع حليفه الجديد فى رسم خريطة أوروبا ووضع الخطط العسكرية لضرب إنجلترا. ولاشك أن إستراتيجية نابليون قد دخلها نوع من التعديل، ومنها تغيير فكرته تجاه سياسته الشرقية حيث أسقطها من حسابه، وأيضا بسبب جهل فتح على شاه ورجال البلاط الذين كان أكثرهم يتميز بالطمع والجشع. ومع ذلك كان الجنرال جاردان يتعامل مع حكام إيران طبقا للخطة المرسومة هو وأفراد بعثته؛ نذكر منهم على سبيل المثال تلك الجماعة التى أسهمت فى تحصين قلعتى يريڤان وإجمادزين الأرمنيتين فور إبلاغ عباس ميرزا قائد القوات الإيرانية لهم عن نية الروس مهاجمة المدينتين. وتشير المصادر التاريخية أن الفرنسيين قاموا بتحصين قلعة يريڤان حسب أحدث النظم الأوروبية عندما أقاموا لها جدارين مزودين بالمدافع تمتد في مقدمتها حواجز مختلفة(٥٧).

٥٧) دكتور على أكبربينا؛ تاريخ ديلوماسى وسياسى إيران، مرجع سابق، ص ١١٦.

إنجلترا تهدم مافعله نابليون بونابرت

تحركت إنجلترا لمواجهة المؤامرات الموجهة ضدها؛ فقد أحكم نابليون وحلفاؤه «الحصار البحرى» الذى ضربه على الإنجليز وبضائعهم فى أوروبا، وتصورت أنه ربما ينجح حصار آخر فى الشرق. فلم يجد الإنجليز شيئا يفعلونه سوى تكثيف دسائسهم في إيران، حيث وجدت الثغرة التى يمكن أن ينفذوا منها ممثلة فى فتور العلاقات الإيرانية الفرنسية، وتخلى نابليون عن تعهداته قبل إيران، وعدم إمداد فرنسا إيران بالسلاح الذى تحتاجه، والموقف الصعب الذى يقفه الجيش الإيرانى على جبهة القتال؛ فرأت إنجلترا ألا تترك الفرصة تمر أمامها بعد توقيع معاهدة تيلسيت التى تتناقض بنودها مع معاهدة فينكينشتين؛ فأرسلت وفدين من قبلها إلى طهران عن طريق الخليج الفارسى، أحدهما من قبل حاكم عام الهند برئاسة السيرجون مالكولم (Sir Jhon Malcolm) والآخر من طرف الحكومة الإنجليزية برئاسة السير هارفورد جونز (Sir Harford Jones) ممثلا لإنجلترا حتى يحولا دون نفوذ ممثل فرنسا عند فتح على شاه، وصحبا معهما التحف والهدايا القيمة لتسهيل مأموريتهما، ووصلا ميناء بوشهر، ومكثا فيه مدة دون أن يسمح لهما بمواصلة سفرهما إلي العاصمة طهران لمقابلة الشاه القاجارى، وأرسلا إلى البلاط الشاهنشاهى اقتراحا بأن تقوم إنجلترا بالوساطة بين إيران وروسيا على أساس استعادة إيران لكافة أراضيها القوقازية، وانسحاب روسيا من كرجستان، وعرضا عقد معاهدة تحالف بين إيران وإنجلترا.

كانت حالة فتح على شاه النفسية سيئة للغاية وظهر على المسرح السياسى

والعسكري كمن يريد التشبث بخيط ولو يكون واهيا، ووجد نفسه يعيش فى ظلام دامس يلتمس وميضا من نور يخرجه من مأزقه. ووجد الشاه ضالته فى الوفدين الإنجليزيين وصدّق نفسه أن إنجلترا بما تملكه من قدرة واقتدار ستساعده على حل مشاكله، واستدعى الجنرال جاردان الفرنسى وذكر له أنه سوف يطلب المساعدة من إنجلترا، نظرا لعدم وصول رد من نابليون بشأن ما يمكن عمله، واستفسر منه عما تم فى طلبات إيران تنفيذا لتعهدات فرنسا. فاعترض عليه الجنرال جاردان. وإزاء إصرار الشاه قبول المساعدة الإنجليزية بدلا من الفرنسية هدد بأنه فى حالة قدوم أى شخص إنجليزى إلى طهران فإن العلاقات الدبلوماسية سوف تقطع بين فرنسا وإيران.

وفى نفس الوقت الذي كان فيه جاردان يسعى للحيلولة دون قدوم الإنجليز إلي طهران، كان السير هارفورد جونز يكثف من نشاطه، وأرسل الهدايا إلى رجال البلاط، وأرشا البعض الآخر. وبعد أن وجد الجو مهيأ لتقديم آرائه عرض على البلاط الإيرانى مشروع معاهدة بين إنجلترا وإيران تنص موادها على مايلى:

١ ـ إذا اشتبكت إيران مع دولة أخرى في حرب، فإن إنجلترا تقدم المساعدات إلى إيران من قوات الهند. وإن طالت مدة القتال تدفع إنجلترا لإيران سنويا مبلغ ٢٠٠ ألف تومان كمساعدة نقدية.

٢ ـ إذا رغبت إيران فى توقيع معاهدة مع إحدى الدول الأوروبية فإن الحكومة الإنجليزية تعمل على أن تكون بنود المعاهدة في صالح إيران.

٣ ـ إرسال عدد من الضباط الإنجليز لتدريب الجيش الإيرانى.

٤ ـ تعمل الحكومة الإيرانية على تأمين حدودها من ناحية خراسان وبخارى وبلخ.

٥ ـ لاتسمح إيران لأى قوى أجنبية بالعبور من أراضيها إلى الهند.

٦ ـ أن تقطع إيران علاقاتها بفرنسا.

تحيّر فتح على شاه بعد أن تسلم عرض إنجلترا بمساعدته أو التمسك بالفرنسيين الذين تقاعسوا عن نجدته طبقا لمعاهدة فينكينشتين وإهمال نابليون المشكلة الإيرانية عند إجتماعه بالقيصر الروسى لحل المشاكل المعلقة بينهما ورسم خريطة لأوروبا فيما مايسمى بمعاهدة تيلسيت السرية... وأخيرا إنحاز إلى جانب إنجلترا بعد أن وجد الظروف الدولية فى غير صالحه، وأن نابليون قد نكث بوعوده وخلى به وبإيران. وسمح الشاه القاجارى للبعثة الإنجليزية بالقدوم إلى طهران. عند ذلك يئس الجنرال جاردن من إيران والبلاط الإيرانى أكثر من ذى قبل وقرر مغادرة إيران دون الحصول على موافقة نابليون والعودة إلى فرنسا[٥٨].

إن من الأسباب التى أسرعت في أن يتخذ الجنرال جاردان قرار المغادرة أنه طمأن فتح على شاه بأن الجيش الإيرانى لن يتعرض لهجوم الروس دون إذن من نابليون. وعلى الرغم من الدعوة الصريحة للجنرال جاردان فإن إيران تعرضت لهجوم شديد من قبل روسيا. وكان التوقيت سيئا للغاية بعد تجنب الضباط الفرنسيين القتال مما اعتبرته إيران غدرا ونكوصا للعهد، بل وتحريضا من فرنسا على مهاجمة الجيش الروسى إيران. وعندما اطلع الصدر الأعظم على تقرير

٥٨) دكتور على أكبرينا؛ تاريخ ديلوماسى وسياسى إيران، مرجع سابق، ص ١١٧ ـ ١١٩ والمشير مقتدر؛ كليد خليج فارس، مرجع سابق، ص ٧٦ ـ ٧٧.

عباس ميرزا ولى العهد وقائد الجيش الإيرانى المؤرخ فى ٣١ أكتوبر ١٨٠٨ (٢٢ رمضان ١٢٢٣هـ) والذى طلب فيه من الضباط الفرنسيين عدم الاشتراك فى الحرب والتوقف عن تدريب الجيش الإيرانى أن صاحب ذلك إعلان من وزير الخارجية الروسية بخلاف ماتم من قبل، يصرح فيه أنه يجب توقيع معاهدة صلح مع إيران. وهدد بأنه فى حالة عدم قبول هذا الإقتراح من قبل الحكومة الإيرانية فإن الحرب ستتجدد بين البلدين. وأسرع فتح على شاه وطلب من الجنرال جاردان الاتصال بالإمبراطور الفرنسى يذكره بمعاهدة فينكينشتين، وأن المادة الثانية تنص على أن يضمن إمبراطور فرنسا استقلال الأراضى الإيرانية واسترداد كرجستان. وطبقا للمادة الثالثة فإن الإمبراطور الفرنسى اعترف بحقوق إيران فى ولاية كرجستان. كذلك تعهد فى المادة الرابعة باسترداد إيران كافة ولاياتها التى يحتلها الروس بالطرق السلمية أو عن طريق القوة(٥٩).

وقد أشار إعلان وزير الخارجية الروسى إلى مدة محددة ينتهى عندها الحل السلمى؛ فكان كشبه إنذار لإيران. وجاء أول نوفمبر ١٨٠٨ (شوال ١٢٢٣هـ) وهو موعد انتهاء المهلة المحددة من روسيا دون أن ترد فرنسا صراحة على عرض وساطتها بين البلدين المتنازعين، روسيا وإيران. وحاول الجنرال جاردان تخفيف الوضع السيئ بالوعود المعسولة وتهدئة خواطر رجال البلاط الإيرانى، لكن الجنرال جودوفيتش قائد الجيش الروسى أصدر أوامره بغزو إيران واحتلالها. وكان الصراع شديدا ومريرا وهزائم الإيرانيين تتوالى على كافة الجبهات؛ اللهم إلا قلعة إيروان التى حاصرها الروس وواجهوا صمودا من

٥٩) محمود محمود؛ تاريخ روابط سياسى إيران وإنكليس در قرن نوزدهم، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ١٨٠ - ١٨٢.

المدافعين الإيرانيين الذين أنزلوا بالروس خسائر فادحة، مما أجبرهم على الانسحاب إلي «أوج كليسا». وكان لصمود قلعة إيروان دوى كبير فى إيران، حيث الشعب الإيرانى المتميز بالعاطفة الجياشة وحب الوطن، فتجدد الأملَ فى النصر على الروس. وكان عباس ميرزا قائد الجيش الإيرانى أكثر الناس تفاؤلا وغيرة وحماسا للقتال، إلا أن الروس كانت قد وصلتهم تعزيزات من الجبهة البولندية، فشددوا حملاتهم على نخجوان مقر قيادة الجيش الإيرانى فاضطر عباس ميرزا إلى إخلائها والإنسحاب منها.

وحاول الجنرال جاردان أن يتدخل فى الحرب الفجائية التى شنتها روسيا على إيران رغم وجود مشاكل دبلوماسية، وركود الصلات الفرنسية الإيرانية. فأرسل «لازار» سكرتير البعثة الفرنسية إلى الجنرال جودوڤيتش لطلب تجديد مهلة الهدنة ستين يوما أخرى، وفى نهايتها يدعو كل من ألكسندر الأول وفتح على شاه الدخول في مفاوضات بينهما، لكنه لم ينجح فى مساعيه وأصر القائد الروسى على القتال معللا أن إيران هى البادئة بالعدوان.

وأخيرا لم يستطع الجنرال جاردان أن يفى بوعده إزاء إيران، وعدم نجاح فرنسا كدولة فى الوساطة، وفى نفس الوقت كانت لديه معلومات أكيدة أن شاه إيران قد سمح للمبعوث الإنجليزي الحضور إلى طهران. فما كان منه إلا أن طلب الإذن له بمغادرة إيران نهائيا، فسمح له الشاه وطلب منه أن يقيم فى تبريز عاصمة آذربيجان لعله تصله أخبار من فرنسا. فقبل الجنرال جاردان هذا الاقتراح وغادر طهران فى ١٣ فبراير ١٨٠٩، ودخلها السير هارفورد جونز في ١٤ فبراير ١٨٠٩، أى فى اليوم التالى لمغادرة جاردان العاصمة الإيرانية.

وقد لحق به فى تبريز أعضاء البعثة الفرنسية بعد أن سمح لهم عباس ميرزا فى ١٧ أبريل ١٨٠٩ (٣ ربيع الأول ١٢٢٤هـ) وسلكوا طريق تبريز فالقوقاز فأوروبا..



نابليون بونابرت

نهاية المطاف

نسف العلاقات النابليونية الإيرانية

استقبل شاه إيران مبعوث إنجلترا السير هارفورد جونز فى ١٧ فبراير ١٨٠٩م، وقدم أوراق اعتماده. وكان يحمل معه مجموعة من الهدايا الثمينة من بينها ماسة قدمها لفتح على شاه باسم جورج الثالث ملك إنجلترا مما كان له وقع كبير في نفس الشاه القاجارى المحب للمال والهدايا. وتم توقيع معاهدة تحالف فى ١٢ مايو ١٨٠٩م، وقد جاء فى أحد بنودها أن تقطع إيران جميع علاقاتها بفرنسا، وكل دولة أخرى تعادى إنجلترا.

وقد جدّد السير هارفورد جونز الأمل عند فتح علي شاه بدبلوماسيته الرقيقة وكلامه المقنع وتصور أن العرض الإنجليزى هو الذى سينفذه من ورطته. فأرسل إلى لندن سفيرا، هو «ميرزا أبا الحسن خان» حاملا معه نسخة من المعاهدة الإيرانية الإنجليزية لتصدق عليها حكومة إنجلترا. فتم له ما أراد، وعاد وبصحبته «السير جور أوزلى» السفير الإنجليزى الجديد الذى قابله الشاه القاجارى فور وصوله إلى طهران، وسلمه رسالة من ملك إنجلترا إلي فتح على شاه، ودفع للحكومة الإيرانية أقساطا من المعونة المالية المتفق عليها. كما سلم كمية من البنادق والمدافع والمهمات العسكرية إلى الجيش الإيرانى. وتبع ذلك بفترة وجيزة قدوم مجموعة من الضباط وصف الضباط الإنجليز ليحلوا محل الضباط الفرنسيين لتعليم وحدات الجيش الإيرانى طبقا للإتفاقية الجديدة، وتوجه جماعة منهم إلى آذربيجان وعملا تحت قيادة عباس ميرزا.

ورغم تسليم إنجلترا ثلاثة آلاف بندقية وعشرين مدفعا لإيران، فإن ذلك لم يؤثر على سير العمليات العسكرية على جبهات القتال، واستمرت هزيمة القوات الإيرانية فى معظم المعارك التى خاضتها. كما دخلت البحرية الروسية العمق الإيرانى وقصفت سفنها الحربية سواحل بحر الخزر لإجبار الإيرانيين على طلب عقد صلح بين الدولتين، وأن يتوجه مندوب إيرانى إلي العاصمة بطرسبرج؛ الأمر الذى وافقت عليه روسيا ورحب به القيصر ألكسندر الأول. وكانت ورقة العمل تنحصر في عقد هدنة لمدة عامين أو خمس سنوات. وما أن عاد المندوب الإيرانى بعد توقيع إتفاقية الهدنة وهدأت الأمور تماما على جبهات القتال، قابل عباس ميرزا القائد العام للجيش الإيرانى الجنرال ترماسوف القائد الروسى فى شهر أبريل ١٨١٠م لتنفيذ خطوات الاتفاقية كما أملتها روسيا، فأثار ذلك حنق الإنجليز حتى أن السيرجور أوزلى تقدم بإنذار إلى الحكومة الإيرانية أكد فيه «أنه لايسعه البقاء فى إيران فى حالة عقد الصلح مع روسيا»، وأبدى استعداد بلاده لتقديم معونات إضافية لإيران فى حالة استمرارها فى الحرب.

وجد فتح على شاه نفسه في وضع محرج للغاية؛ لقد فرض الروس عليه شروطا قاسية فقبلها مكرها لعدم جدوى القتال بين جيوش غير نظامية أغلب أفرادها يتسلحون بالسيوف والخناجر والحراب أمام قوات نظامية ذات تدريب جيد وخطط مرسومة ونظام متناسق بين القوات المحاربة من فرسان ومدفعية ومشاة ومهندسين وغير ذلك. ومن ناحية أخرى كان الإنذار الإنجليزى امتحانا قاسيا للإيرانيين أمام تهاون الشاه القاجارى وتردده الذى انعكس على تصرفاته، لكنه سرعان ما آثر استمرار القتال وهو يعلم تماما أن الجيوش الإيرانية لن تصمد أمام القوات الروسية. لعل ذلك يرضي الإنجليز ويقفون

بجانبه ويزيدون من معوناتهم العسكرية ويشاركونه القتال. فأرسل إلى عباس ميرزا ولي العهد ورئيس وفد المباحثات الإيرانى بمشروع للصلح يتألف من ست مواد صاغها السيرجور أوزلى بطريقة لايشك أحد في أن الروس سيرفضونها تماما، لتناقضها مع الخطة الروسية التى تعتمد على شروط تقيد إيران وتفقدها البلاد التى استولى الروس عليها.

وبدأت الإمدادات الإنجليزية ترد إلى إيران، وقدم طهران السيرجون مالكولم ومعه عدد من الخبراء فى المدفعية وقيادة الجيوش والمعلمين، ومجموعة من المدافع. فكان ما استلمته إيران من إنجلترا ١٢ ألف بندقية، و١٢ مدفعا ميدانيا، و١٢ ألف قذيفة مدفع، و١٢ ألف قطعة ملابس عسكرية. وقام الخبراء العسكريون وضباط المدفعية بالتدريب داخل الوحدات الإيرانية العسكرية وتفاعلوا معهم. ومع ذلك لم تجد هذه المعونات شيئا في صمود الجبهة الإيرانية بسبب الجهل المتفشى فى إيران وسود الحالة الاقتصادية وفقدان الأمن الداخلي، حيث شرع رؤساء القبائل والعشائر الإيرانية فى انتهاز الفرصة وقاموا بالسلب والنهب وقطع الطرق فى وضح النهار مما أطال أمد الحرب وأوقع الجيش الإيرانى فى هزائم كان يمكنه تداركها لو كان خلفه شعب واع وأمن مستتب.

نجاح اللعبة الأوروبية وركوع إيران أمام التيارات الإستعمارية

وأخيرا أجبرت الظروف الدولية والمحلية إيران على طلب الصلح مع روسيا؛ فعلى الصعيد العالمى فشل الحصار القارى الذى فرضه نابليون بونابرت على إنجلترا فى القارة الأوروبية فشلا ذريعا. وكانت روسيا أول دولة أوروبية اتصلت سرا بإنجلترا للتباحث فى أهم القضايا الدولية المعاصرة، وكان منها الحرب الإيرانية الروسية. وسرعان ماعادت الأمور إلي وضعها الطبيعى إثر توقيعها على معاهدة تحالف فى يوليو ١٨١٢م. ومن ناحية أخرى تمكن الروس من محاصرة الجيش التركى بقيادة أحمد باشا، وسددوا له ضربة معجزة مما أجبر الباب العالى على الدخول فى مفاروضات سلمية مع الحكومة الروسية. وحاول العثمانيون إشراك حلفائهم الإيرانيين عند تفاوضهم مع الروس، لكن الأخيرين أصروا على الانفراد، والتفاوض مع كل دولة على حدة مما أثر تأثيرا سلبيا كبيرا على وضع إيران وموقفها.

ولم تكن نيات إنجلترا مخلصة تجاه حليفتها إيران، ولم تكف عن مناوراتها حتي بعد تحالفها مع روسيا بهدف تحقيق روسيا أقل مايمكن من المكاسب من وراء انتصارها على إيران؛ فأقنعت حليفتها روسيا أن تتنازل ولو شكليا بعد تشددها على الشروط المقدمة منها إلى إيران. فقبلت الأخيرة - وهى مجبرة - إبرام معاهدة مع عدوتها اللدودة روسيا بأى شروط توافق عليها إنجلترا.

وتذكر نابليون إمبراطور فرنسا إيران وهو يستعد لشن حرب كبرى على روسيا، وما لموقعها الحيوى ومجاورتها لحدود روسيا الجنوبية. فأرسل إلى طهران مبعوثا من قبله ليؤكد من جديد «أن الإمبراطور يبر بوعده الذى قطعه

للشاه بصدد غزو روسيا»[٦٠]، وأنه «سيعيد لإيران قريبا جميع ممتلكاته فى القوقاز وكرجستان»[٦١]، وطلب مقابل ذلك أن يقوم الشاه بطرد الإنجليز من إيران وقبول سفير فرنسى جديد فى بلاطه. ولكن فتح على شاه، وعلى غير عادته، تأنى فى إتخاذ الموقف ودرس كافة الاحتمالات ورجح انتصار روسيا على نابليون ومايترتب على ذلك من تأثير على الجبهة الإيرانية. فرضخت إيران تماما أمام روسيا وتركت الأمر لحليفتها الجديدة إنجلترا صديقة روسيا وعدوة فرنسا تتصرف فيه كيفما تشاء. فكانت معاهدة «گلستان» التى كان لها شأن كبير فى المسيرة الإيرانية طوال القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين حتى تقويض القيصرية في روسيا.

ذلك أن إيران وروسيا قاما بتوقيع معاهدة فى سنة ١٨١٣م تعرف باسم «معاهدة گلستان» نسبة إلى القرية التى تم فيها توقيع الإتفاقية، نصت على إنهاء حالة الحرب بين البلدين وإعطاء ولاية كرجستان وجزء كبير من أرمينيا ونصف منطقة آذربيجان وإقليم شيروان لروسيا. واكتفى القيصر بذلك النصر مع أنه لم يحقق الهدف الذى من أجله نشبت الحرب مع الإيرانيين، وهو الوصول إلى حدود نهر أرس، بسبب قيام نابليون بحملته الشهيرة على روسيا سنة ١٨١٢، واحتياج روسيا إلى سحب قواتها لدفعها فى الجبهة الغربية الأوروبية لمواجهة القوات الفرنسية المتقدمة. كذلك خشى القيصر الروسى من ازدياد ثقل الجبهة الإيرانية ضد القوات الروسية واستغلال فرنسا ذلك الأمر لصالحها فتجهز تماما على روسيا وتحطمها كلية. كل تلك المبررات جعلت قيصر روسيا

---

٦٠) على أصغر شميم؛ إيران در دوره سلطنت قاجار، مرجع سابق، ص ٧٥.

٦١) المرجع السابق، ص ٧٥.

يسارع بالموافقة على إعلان وقف إطلاق النار على الجبهة الإيرانية والموافقة على الدخول مع إيران فى مفاوضات انتهت بتوقيع المعاهدة المذكورة. ومن الناحية المقابلة كانت إيران هى الأخرى تلح بدورها في الإسراع إلى مثل هذا الإجراء نظرا لما أصاب جبهتها الداخلية من إنهيار كامل وظهر عدم قدرتها على مواصلة الحرب.

ولم تكن هزيمة الشاه القاجارى وانتصار القيصر الروسى ذات أهمية عسكرية بإحراز المنتصر نصرا عسكريا وضم أراض إيرانية انسلخت من الوطن الأم لتنضم إلي روسيا، بل كانت ذات فائدة كبيرة من الناحيتين الاقتصادية والتجارية؛ إذ نتج عن ذلك خضوع الدولة الإيرانية خضوعا تاما للسيطرة والنفوذ الروسى. وأدق تعبير يمكننا ذكره فى هذا المقام ماذكره اللورد كيرزون نائب ملكة إنجلترا في الهند ووزير الخارجية الإنجليزى الشهير فى كتابه «المسألة الفارسية»، من وصفه للوزير المفوض الروسى في طهران بأنه هو الذى يحكم الدولة الإيرانية وليس الشاه القاجارى، وأن يده مطلقة تماما فى شئون إيران كما يفعل نائب الملك الإنجليزى في شبه القارة الهندية تماما[٦٢].

وهكذا دخلت إيران مسرح السياسة العالمية الحديثة منذ عهد الشاه القاجارى فتح على شاه، أى مع بداية القرن التاسع عشر الميلادى. وكان الممثلون البارزون فى هذه التمثيلية التاريخية نابليون بونابرت الذى أطلق الضوء الأخضر تجاه إيران وحاول استغلال موقعها الممتاز لصالحه وحمل إيران على معاداة الدول الأوروبية التى تقف فى وجه أطماعه. والروس الذين كانوا

---

٦٢) اللورد كيرزون؛ إيران ومسئله إيران، ترجمه عن الإنجليزية إلى الفارسية على جواهر كلام، طهران، سنة ١٣٤٧هـ. ش.، ص ٢١٦.

ينشدون التوسع نحو الجنوب والهيمنة على إيران وأفغانستان للوصول إلى الخليج العربى والمحيط الهندى، وبريطانيا التي رأت أن مركزها فى الهند أصبح مهددا من قبل الروس والفرنسيين ويتعارض مع التوسع الروسى، حتى أصبح التوازن بين المطامع الإنجليزية والروسية فى إيران من المعالم الثابتة فى دبلوماسية القرن التاسع عشر الميلادى. وقد أخل بهذا التوازن - بعض الوقت - إقحام فرنسا فى الميدان لكنها خرجت منه بسرعة لانشغال نابليون بحروبه الأوروبية فأهمل إيران ولم يعرها اهتماما.

خاتمـــــة

خسرت إيران كثيرا بسبب التوسع الروسى، واعتمادها على نابليون ومعاداتها لإنجلترا وإعلانها الحرب عليها إرضاء لنابليون الذى وعدها بالمساعدة والتأييد فى استرداد الولايات التى استولت عليها روسيا. وكان فتح على شاه ينظر إلي الأوروبيين نظرة تخالف الواقع، ولم يفهم اللعبة السياسية ويسايرها، بل كان الشاه القاجارى يتصرف بوحى من نفسه، منفردا فى رأيه بحيث أصبح آخر الأمر مسلوب الإرادة ولا يستطيع أن يفعل شيئا إلا بعد الرجوع إلى الأوروبيين.

أما نابليون بونابرت فقد أراد أن يتخذ من فتح على شاه حليفا ليسمح له بجعل بلاده معبرا للجيوش الفرنسية المتجهة إلى الهند ومنازلة إنجلترا فيها. لكن الظروف الدولية غيرت من خططه ابتداء من صلحه مع ألكسندر الأول قيصر روسيا، ورسم خريطة جديدة لأوروبا استحوذ نابليون على الجزء الأعظم منها مقابل إطلاق يد روسيا في الشرق، وإيران إحدى الدول الشرقية التى وقع نظرة القيصر الروسى على التهامها، ثم هزيمة نابليون فى معركة «ووترلو»، فانضوت بذلك صفحة من تاريخ أوروبا، وخبا شعاع أمل شاه إيران فى أى حل سلمى يمكن عن طريقه استرداد ما أستولى عليه الروس من أراض إيرانية، حتى أنه فوض الأمر تماما لإنجلترا لمباحثة روسيا في عقد صلح مع إيران. ولا شك أن إنجلترا كانت تسعى بدورها إلي الحفاظ على أمن الهند وسلامة مواصلاتها أكثر من أى شئ آخر. فجاءت الأحداث وبالا على إيران وضربة موجهة إلى قلب الشاه وولى عهده عباس ميرزا. ونذكر فيما يلى ماكتبه السيرجون مالكولم

في مذكراته عن رحلته الثانية إلى إيران: «لقد رسم نابليون فى ذهنه خريطة هو أن يشتبك الدب الروسى والأسد الإيرانى فى حرب، ثم يهاجم أراضى الهند الغنية، ولكن الخريطة كانت منقوشة على الماء»، ونستشف من عدم ذكر جون مالكولم إيران أن هذا دليل على الأمور قد خرجت من يدها إلى يد غيرها، وأن الصراع الدولى شملها وبدأ يحركها كيفما يشاء.

مراجـــع البحث

أولا: العربية والفارسية:

١ ـ إبراهيم تيمورى: عصر بى خبرى ياتاريخ إمتيازات در إيران، نشر مكتبة إقبال، طهران، سنة ١٣٣٢هـ.ش.

٢ ـ أحمد تاج بخش، دكتور: تاريخ روابط إيران وروسيه درنيمه أول قرن نوزدهم، تبريز، سنة ١٣٣٧ هـ. ش.

٣ ـ أحمد مصطفى أبو حاكمة، دكتور: تاريخ الكويت ـ الجزء الأول ـ القسم الأول، الكويت، سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٤ ـ أرنولدت. ويلسون، السير: الخليج العربى، نقله إلى العربية الدكتور عبد القادر يوسف، نشر مكتبة الأمل بالكويت، بدون تاريخ.

٥ ـ بيوتر بيڤانوف، وإيڤان ڤيدوسوف: تاريخ الإتحاد السوفيتى، ترجمة خيرى الضامن ونقولا طويل، نشر دار التقدم، موسكو بدون تاريخ.

٦ ـ جهانگير قائمقامى: بحرين ومسائل خليج فارس، طهران، سنة ١٣٤١هـ. ش.

٧ ـ جرانت، أ.ج. و هارولد تمبرلى: أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ ـ ١٩٥٠، الجزء الأول، ترجمة محمد على أبو درة ولويس إسكندر ومراجعة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

٨ ـ جرانت واتسن: تاريخ إيران ـ دوره قاجاريه، ترجمة وحيد مازندرانى، طهران، سنة ١٣٤٨هـ. ش.

٩ - حبيب الله شاملوئى: تاريخ إيران ازماد تاپهلوى، طهران، سنة ١٣٤٧هـ. ش.

١٠ - رضا قلى خان هدايت: روضة الصفاى ناصرى - المجلد التاسع من مجموعة روضة الصفا، طهران، سنة ١٣٣٩ هـ. ش.

١١ - سعيد نفيسى:

تاريخ سياسى واجتماعى إيران در دوره معاصر - المجلد الأول، طهران، سنة ١٢٤٥ هـ. ش.

١٢ - عبد السلام عبد العزيز فهمى، دكتور: تاريخ إيران السياسى فى القرن العشرين، القاهرة، سنة ١٩٧٣م.

١٣ - عبد العزيز سليمان نوار، دكتور: تاريخ الشعوب الإسلامية فى العصر الحديث - الجزء الأول، نشر دار النهضة العربية بيروت، سنة ١٩٧١م.

١٤ - عبد الفتاح حسن أبو علية، دكتور بالإشتراك مع دكتور إسماعيل ياغى: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، نشر دار المريخ بالرياض وديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، الرياض، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

١٥ - عبد الله رازى: تاريخ مفصل إيران، طهران، سنة ١٣٣٥ هـ. ش.

١٦ - على أصغر شميم: إيران در دوره سلطنت قاجار، طهران، سنة ١٣٤٢هـ. ش.

١٧ - على أكبربينا، دكتور: تاريخ سياسى وديلوماسى إيران - المجلد الأول، نشر جامعة طهران، طهران، سنة ١٣٤٢هـ.ش.

١٨ - محمد تقى لسان الملك سپهر: ناسخ التواريخ - المجلد الثالث (مجلد قاجارية)، تحقيق جهانگير قائمقامى، إيران، طهران، سنة ١١٣٣٧هـ. ش.

١٩ - محمد فؤاد شكرى، دكتور: الصراع بين البورجوازية والإقطاع ١٧٨٩ - ١٨٤٨م - المجلد الثانى، نشر دار الفكر العربى، القاهرة، سنة ١٩٥٨.

٢٠ - محمود محمود: تاريخ روابط سياسى إيران وانگليس در قرن نوزدهم - المجلد الأول والثانى، طهران سنة ١٣٣٣ هـ. ش.

٢١ - مقتدر، سرلشكر (المشير): كليد خليج فارس، طهران، سنة ١٣٣٣ هـ. ش.

٢٢ - لوريمرج. ج.: دليل الخليج - القسم التاريخى - الجزء الخامس، طبع بقطر، بدون تاريخ.

٢٣ - لغت نامه دهخدا (دائرة المعارف الإيرانية): العدد ٧٩، مادة «فتح على شاه».

٢٤ - كارل بروكلمان:

تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير بعلبكى، الطبعة السابعة بيروت، سنة ١٩٧٧م.

٢٥ - كمال مظهر أحمد، دكتور: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، سنة ١٩٨٥.

٢٦ - كيرزون، اللورد: إيران ومسئله إيران، ترجم على جواهر كلام، الطبعة الثالثة، نشر مكتبة ابن سينا، طهران، سنة ١٣٤٧ هـ. ش.

ثانيا: الأوروبية:

1) Aryana, Général; Napoléon et L' Orient, Teheran, 1956.

2) d' Avrile, A.: La Golfe Persique, route de L' Inde et de Chine. Paris, 1908.

3) Curzon, Hon. George N.: Armenia. A year at Erzroom and on the Frontiers of Russia, Turkey and persia, John Murray. London, 1854.

4) Curzon, Hon. George N: Russia in Central Asia in 1889 and the Anglo-Russian Question. Longmans. London, 1889.

5) Driault (J.Edouard): Napoléon `a Finkenstein (avril-mai 1807), Paris, E. Alcan, et E. Plon, 1869.

6) Dupre, A,: Voyage en perse, Paris, 1819.

7) Dutemplr, Edmond: Les Kadjars. Paris, Dentu, 1873.

8) Flandin, Eug`ene: Voyage en perse. par Ordre de M.L. Ministre des Affaires Etrangeres. 1843-54., 2 Vol, Paris, 1851.

9) Gillet, Damiette: La perse dans L' equilibre politique universel. Paris, F. Dupont, 1899.

10) Gobineau, (Comte de): Trois ans en Asie; de 1858. Paris, Hachette, 1859.

11) Lenczowski, George: Russia and the west in Iran, 1918-1948, Cornell University press, Ithaca, New York, 1949.

12) Layard, H: Early Adventures in persia, London, 1887.

13) Mahan, A.T: The Problem of Asia and its effects upon international policies. Iondon, S. Low, 1900.

14) Pakravan,- Amineh: Abbas Mirza, Un prinee Réformateur. Publication Institut Franco-iranien, 1958.

15) Puryear; Napoleon and the Dardanelles, Combridge, 1951.

16) Shuster, W. Morgan: The Strangling of Persia, New York. 1912.

17) Sykes, Sir percy: Persia, Oxford, 1922.

فهرس الموضوعات


Bibliotheca Alexandrina
0665926